
رجل المستحيل
أبواب الجحيم
١٩
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
رجل المستحيل (١٩) ● أبواب الجحيم ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●
المؤلف
د. نبيل فاروق
رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة
١٩
وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم
● أبواب الجحيم ●
● لماذا يواجه (أدهم صبرى) ثلاث منظمات قوية فى آن واحد على أرض الولايات المتحدة الأمريكية ؟
● كيف يمكن أن يحارب (أدهم صبرى) وحده هذه المنظمات الثلاث ؟
● تُرى لمن يكون النصر فى النهاية ؟ وكيف ؟
● اقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .
www.dvd4arab.com

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ جحيم (المافيا) ..

تململ (دون ريكـاردو) زعيم عصابات (المافيـا) الشهيرة ، فوق فراشه الصغير بزنزانته فى سجن (سنـج سنج) الأمريكى ، ثم اعتدل جالسًا على طرف الفراش ، وأخذ يتمتم ببضع عبارات ساخطة ، قبل أن يتوجّه نحو صورة مرسومة بمهارة ودقة فائقتين لوجه رجل وسيم الملامح ، تدل نظراته على القوة والبأس .. ونقر (دون ريكاردو) على الصورة بأصابعه ، ثم اقترب منها بوجهه ، وقال بحنق وكأنه يتحدث إلى صاحبها مباشرة :

ــ لن يمضى وقت طويل حتى أجبرك على دفع ثمن إيداعى فى هذا المكان الحقير أيها الشيطان المصرى .. لن يمضى وقت طويل حتى لا أجعل هناك من يحمل اسم (أدهم صبرى) حيًّا على وجه الأرض[1] .

---

(١) راجع قصة (قناع الخطر) .. المغامرة رقم (٣) .

جاءه صوت من الجانب الآخر للقضبان يحمل فى طيّاته نبرات الرهبة يقول :

ــ إلى من توجّه لعناتك يا (دون ريكاردو) ؟.. أإلى الصورة مرة أخرى ؟

استدار (دون ريكـاردو) يواجه محدّثه من خلف قضبان زنزانته ، وقال بحدّة :

ــ ماذا تريد أيها الحا[illegible] :

ازدرد الحارس [illegible] بصعوبة ، فبرغم تأكده التام من أن (دون ريكاردو) سجينـه غير مسمـوح له بمبارحـة زنزانته إلا للعمل فى ورشة السجن ، أو التريّض ، إلاّ أنه ما من طفل فى الولايات المتحدة الأمريكية لا يعلم أن (دون ريكـاردو) ما زال زعيم عصابـات (المافيـــا) الرسمى ، وإن قام ربيبه (جروشو مانيانى) ذو الثلاثين عاما بنطق أوامر الزعيم ، التى تتسرب إلى خارج جدران السجن ، بوسائل غير معروفة رسميًّا ، وإن لم تخف على أحد فى الواقع ..

وبسبب هذه المعلومات شعر الحارس بالرهبة وهو يردّ على سؤال زعيم (المافيا) قائلاً :

ــ معـذرة يا (دون) .. ما قصدت إزعـــاجك ، ولكن مستر (جروشو) قد حضر لمقابلتك ، وهو يحمل تصريحا رسميًّا بمقابلة منفردة .

ظهر الاهتمام على وجه (دون ريكاردو) وهو يتمتم قائلاً :

ــ (جروشو) ؟.. عجبا .. إنه ليس موعده المعتاد للزيارة .. لابدّ أنه يحمل أنباءً تستحق الاهتمام .

* * *

ــ كيف حالك يا بنى ؟

نطق (دون ريكاردو) هذه العبارة وهو يتأمّل قامة (جروشو) الطويلـة الممشوقـة ، ومـــلامحه الوسيمـــة المتناسقة ، بعينيه الخضراوين ، وشعره البنى اللون ، وشاربه الأنيق ، وحاجبيه الرفيعين .. كان (جروشو) يشبه بشكل كبير تلك التماثيل التى صنعها الرومان القدماء

لإلـهة الشمس (أبوللو) ، حتى أن (دون) شعر بالراحة بمجرد التطلع إلى وجهه ، أما هو فقد تقدّم بخطوات واسعة باسم الثغر ، متهلّل الأسارير ، نحو زعيمه ، وصافحه بحرارة ، ثم جلس كلاهما على جانبي منضدة صغيرة ، في منتصف الغرفة الخالية ، إلّا منهما ومن مقعديهما ، وبدأ (جروشو) الحديث بقوله :

ـ معـذرة لقدومـي في غير موعدنـا المعتـاد يا (دون) ، ولكنه أمر يتعلق بمستر (ليفي) ؛ و (چيمس براند) .

زوى (دون ريكـاردو) ما بين عينيـه ، وكأنـه يستجمع معلوماته عن الاسمين ، وقال ببطء :

ـ ليفي ؟!.. أظنك تقصد ضابط (الموساد) الخبيث .. ذلك الذي يسمونه بالكوبرا .. إنه يستحق ذلك اللقب عن جدارة ، فأنت تعلم أن (الكوبرا) أفتك أنواع الثعابين سُمًّا .. عجبًا .. إن ذلك الرجل لا يتواجد إلاّ إذا تعلق الأمر بعملية شديدة الخطورة .

ثم رفع رأسه فجأة ، وقال :

ـ ولكن ماذا عن (چيمس براند) ؟.. ألا يدفع لنا خمسة ملايين دولار في العام مقابل عدم تدخلنا في (تكساس) ؟

أومأ (جروشو) برأسه موافقًا ، ثم مال نحو زعيمه ، وقال بلهجة تنم عن أهمية الخبر :

ـ هذا صحيح ، ولكنهما يطلبان تعاوننا في أمر أعلم أنه يهمك جدًّا .

وصمت لحظة قبل أن يتابع قائلاً :

إنهمـا يطلبـان تعاونـنـا للقضـاء على (أدهـم صبري) .

انتفض (دون ريكاردو) في مقعده ، كما لو أن هذه العبارة قد أصابته بشحنة كهربائية قوية ، وبرقت عيناه ببريق دموي شرس ، واحتبست الكلمات في حلقه ، حتى أنه استغرق دقيقة كاملة قبل أن يقول بصوت أجشّ :

ـ لا تخبرني أن هذا الشيطان المصري قد امتلك الجرأة على العودة بإرادته إلى الولايات المتحدة الأمريكية !

أومأ (جروشو) برأسه ثانية ، وقال :

ـ هذا صحيح .. ويبدو أنه قد أتى خصّيصًا من أجل أمر يتعلّق بشبكة (چيمس براند) في (تكساس) [1] .

قال (دون ريكاردو) ببطء وهدوء :

ـ لقد هزم (چيمس براند) وشبكته .. أليس كذلك ؟

أومأ (جروشو) برأسه دون أن ينطق ، فنهض (دون ريكاردو) من مقعده ، وسار بضع خطوات نحو باب الغرفة ، ثم توقّف وظهره إلى ربيبه ، وقال بهدوء مصطنع :

ـ ربما سمعتَ الكثير والكثير عن هذا الشيطان المصري (أدهم صبري) يا (جروشو) ، كما أن صورته

---

(١) راجع قصة (قاهر العمالقة) .. المغامرة رقم (١٨) .

التي وضعها (حاييم شيمون) قبل مصرعه يحفظها رجالنا جيّدًا ، ولكنك لا تستطيع أن تدّعي معرفته قبل أن تشاهد ما يمكن أن يفعله .

ثم استدار مواجهًا (جروشو) ، وتابـع بنـفس اللهجة ، وإن شابها حنق بالغ :

ـ إنه شيطان بمعنى الكلمة .. لم أر في حياتي إنسانًا يمتلك كل هذا العدد من المهارات والقدرات .

وتحوّل صوته إلى ما يشبه الصراخ وهو يستطرد :

ـ لقد حاربناه بكل قوتنا هنا في الولايات المتحدة الأمريكية ، وها هي ذي النتيجة أمامك ، وحاربه ولداي (دون مايكل) و (دون كاميللو) في إيطاليا ، فهزم الأول ، وتسبب في مصرع الثاني [1] .

ثم صمتَ لحظة ، وتحوّل صوته إلى مزيج من الغضب والحزن وهو يردف قائلاً :

ـ وعندما حاول (مايكل) المسكين الانتقـام

---

(١) راجع قصة (قتال الذئاب) .. المغامرة رقم (٦) .

لكرامته وكرامة (المافيا) ، بالتحالـــف مع (حاييم شيمون) و (دونا ماريا) الإسبانية ، انتهى الأمر بمصرع ثلاثتهم ، وقضى (مايكـل) نحبـه ، وحيـدا فى مطـار (ستوكهولم)[1] .

وازداد حزنه وهو يقول :

ــ حتى (دون كارلو) ــ أصغر أبنائى ــ لم يسلم من الهزيمة على يديه فى (صقلية) ، برغم أن هذا الشيطان قد أقنعه بأنه قد فاز ، ونجح فى قتله[2] .

قال (جروشو) محاولاً طرد الحزن عن زعيمه :

ــ ولكننا سنقتصه هذه المرّة يا (دون) .

صمت (دون ريكاردو) فترة طويلة ، ثم قال :

ــ نعم يا (جروشو) .. سنفعل ذلك يا ولدى ..

ثم أشار إليه وهو يتابع بلهجة آمرة :

ــ يتوقف كل عملياتنا عدا العاجل منها ، وسنجنّد كل رجالنا فى جميع الولايات .

(١) راجع قصة (حلفاء الشر) .. المغامرة رقم (١٢) .

(٢) راجع قصة (الخدعة الأخيرة) .. المغامرة رقم (١٦) .

وأخذ يسير فى أنحاء الغرفة بعصبية وهو يردد :

ــ سأستعين بكل رجال الشرطة الذين يتقاضون مرتبات من (المافيا) فى جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية .. سأضيق الحصار على (أدهم صبرى) حتى لا يجد مكانًا كافيًا لتنفسه .

وصمت فجأة ، وقال بصرامة :

ــ إن (چيمس) و (الموساد) يطلبون تعاوننا .. حسنًا .. سنعمل معًا ، ولكن بشرط واحد .

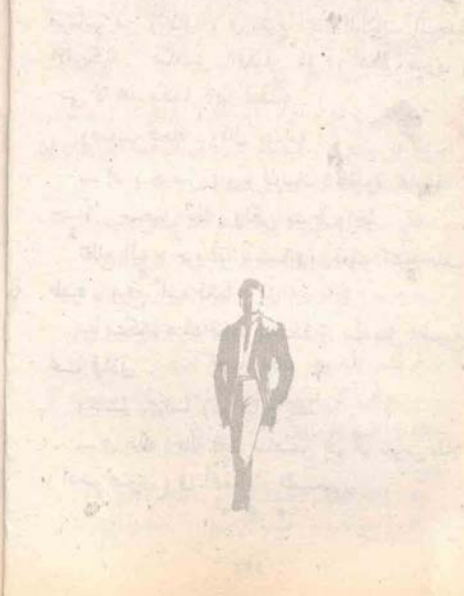
تطلع إليه (جروشو) بتساؤل ، فعقد كفيه خلف ظهره ، ورفع رأسه قائلاً :

ــ ستكون هناك قيادة موحّدة .. سيعمـل الجميـع تحت قيادتى .

وابتسم بشراسة وهو يتابع بثقة :

ــ فى هذه الحالة فقط سأضمن لهم أن تغوص بقايا (أدهم صبرى) فى أعماق (المسيسبى) .

* * *



٢ ــ عمالقة الشر ..

نفث (چيمس براند) دخان سيجاره بعصبية ، ولوّح بيده بطريقة لا تنم عن شىء معيّن ، ثم نهض من مقعـده ، وضرب مكتبـه بقـوة ، حتى قال (ليڤـى) بعصبية :

ــ كف عن هذا الغضب يا مستر (چيمس) .. إنه لا يعنينى شخصيا على الإطلاق أن يتولى (دون ريكاردو) قيادة معركتنا المشتركة ضد (أدهم صبرى) ما دمنا سننجح فى القضاء عليه فى النهاية .

ظل (چيمس) ساكتًا ينفث الدخان من فمه بطريقة تنم عن الحنق ، فتابع (ليڤى) قائلاً :

ــ ثم إنك أنت الذى تسببت فى هروب هذا الشيطان المصرى ، خوفًا على بعض الجياد[1] .

(١) راجع قصة (قاهر العمالقة) .. المغامرة رقم (١٨) .

قال (چيمس) بغضب :

ــ إن هذه الجياد تساوى ثروة يا مستر (ليڤى) .. إن أقلها سعرًا يبلغ ثمنه ربع مليون دولار على الأقل ..

صاح (ليڤى) بحنق :

ــ تبًا لجيادك النادرة .. أمن أجل بضعة ملايين من الدولارات ، تتنازل عن فرصة أكيدة للقضاء على أخطر ضابط مخابرات فى العالم أجمع ؟!

أطفأ (چيمس) سيجاره ، وقال بغضب عجز عن إخفائه :

ــ سحقًا لهذه المهاترات .. إنه لا يعنينى أن يتولى (دون ريكاردو) الزعامة على أن يترك لى التصرف داخل (تكساس) .

ابتسم (ليڤى) بمكر وهو يقول :

ــ لقد فات أوان المطالبة بذلك يا مستر (چيمس) .. فلقد وصل (جروشو مانيانى) على

رأس جيش من رجال (المافيا) إلى (لاريدو) هذا الصباح .

ضرب (چيمس) بكفه أحد التماثيل النادرة التى تزين مكتبه ، فألقاه مهشمًا على الأرض ، وصاح بغضب عارم :

ــ إذن فالمطلوب منى هو التنازل عن سطوتى وسلطانى فى (تكساس) مقابل القضاء على رجل واحد .. إننى أرفض ذلك يا (ليڤى) .

نهض (ليڤى) من مقعده ، ووضع كفه على كتف (چيمس) ، وقال بلهجة ماكرة :

ــ إنه وضع مؤقت يا مستر (چيمس) ، وينبغى علينا ألا نتصارع فيما بيننا ، وإلا كان (أدهم صبرى) هو المستفيد الوحيد .

ضغط (چيمس) على أسنانه غيظًا ، وقال :

ــ لقد أذلّ هذا الشيطان المصرى ناصيتى ، إلى درجة تجعلنى مستعدًا للتنازل عن نصف ثروتى مقابل تحطيمه .



ضرب (چيمس) بكفه أحد التماثيل النادرة التى تزين مكتبه ، فألقاه مهشمًا على الأرض ..

ازدادت ملامح (ليڤى) خبثًا وهو يقول :

ــ هذا عظيم يا مستر (چيمس) ، وإلى جوار ذلك فإن دولتى مستعدة لدفع مبلغ عشرة ملايين دولار ، دعمًا لجهودك وجهود (دون ريكاردو) فى القضاء على ضابط المخابرات المصرى .

ابتسم (چيمس) بسخرية ، وقال بمرارة :

ــ هكذا دولتك دائما يا (ليڤى) ، تبحث عن النصر الذى لا يكلفها رجالاً أو عتادًا .

احتقن وجه (ليڤى) ، ولكنه قال بهدوء يناقض ما يبدو على ملامحه :

ــ يا لها من فكرة سيئة عن دولتى السامية يا مستر (چيمس) !! إننا على العكس نسعى دائمًا لدعم صداقتنا مع الجميع .

ضحك (چيمس) بسخرية ، وقال :

ــ بالطبع .. ما دام ذلك مفيدًا لكم .

ازدرد (ليڤى) ريقه ، وقال بلهجة ناعمة :

— لم هذا الغضب يا مستر (چيمس) ؟.. إن (الموساد) بأكمله رهن إشارتك ، ثم إننا قد دخلنا إلى المعركة بأشرس عملائنا .

قال (چيمس) بلهجة أقل سخرية :

— حقا ؟!

شعر (ليڤى) بأن انتصاره فى هذه المنازلة الكلامية قد أصبح قاب قوسين أو أدنى ، فقال بلهجة أشد نعومة وتدليسًا :

— بالطبع يا مستر (چيمس) ، ولكن طبيعة عمل أجهزة المخابرات تجبرنا على الاحتفاظ بأسماء عملائنا سرًّا .

صمت (چيمس) ، وأشعل سيجارًا آخر ، وقد ظهرت على وجهه علامات التفكير العميق ، ومرّت فترة طويلة من الصمت قبل أن يقول بهدوء :

— حسنًا يا (ليڤى) ، ولكننى سأسعى للمحافظة على سلطانى بقدر الإمكان داخل حدود (تكساس) ،

وأعدك بألاّ يتعارض ذلك مع صراعنا المشترك .

تهلّلت أسارير (ليڤى) ، وقال بسعادة :

— هذا عظيم يا مستر (چيمس) .. عظيم للغاية .. إننى متفائل بتحالفنا المشترك مع (المافيا) .. سنقضى على هذا الشيطان المصرى بالتأكيد .

قال (چيمس) بلهجة متهكمة :

— هذا التفاؤل سابق لأوانه يا (ليڤى) ، وربما كان اهتمامنا هذا مبنيًّا على غير أساس .

قطّب (ليڤى) حاجبيه ، وقال بقلق :

— وكيف يا مستر (چيمس) ؟

ابتسم (چيمس) وهو يقول :

— إننا نعد الخطط وندرسها وننسّقها ، برغم أنه تنقصنا معلومة غاية فى الأهمية .

سأله (ليڤى) باهتمام بالغ :

— وما هى يا مستر (چيمس) ؟

أجابه (چيمس) بهدوء شديد :

— أين هو ذلك الرجل الذى نسعى لتحطيمه ؟.. أين ذلك الشيطان المصرى (أدهم صبرى) ؟..

* * *



٣ — ملك المخابرات ..

— هنا .. على بعد خطوات من قصر (چيمس براند) .

قال (أدهم) هذه العبارة بلهجته التى تجمع ما بين السخرية واللامبالاة ، وهو مسترخ فى مقعد وثير ، فى بهو فندق (لاريدو) ، الذى يبعد بضعة أمتار عن سور قصر (چيمس براند) ، فابتسمت زميلته (منى توفيق) ، وقالت بصوت خافت :

— يا لجرأتك !! كيف يمكنك أن تجلس هادئًا هكذا ، وأنت على بعد أمتار قليلة من مقر شبكة جاسوسية قوية تنبش الأرض بحثًا عنك ؟

ابتسم (أدهم) وقال بهدوء :

— يمكنك اعتبارها ثقة بالنفس ، وبقدرتى على التنكّر ، وتغيير ملامحى يا عزيزتى ، فلكى يضعوا يدهم

على شخصى الضعيف ، لابدّ لهم من تعرّفى أولاً .

تأمّلت (منى) تنكر (أدهم) بإعجاب .. كان قد حوّل شعره إلى اللون الأشقر ، وعينيه إلى اللون الأزرق ، الذى يشبه لون مياه البحر ، وغطّى وجهه بلحية شقراء كثّة ، وشارب رفيع .. كان من المستحيل تعرُّف ملامحه .. حتى هى غيّر (أدهم) ملامحها بلمساته الفنية ، فاسترسل شعرها أسود فاحمًا على كتفيها ، وتألقت عيناها بحدقتين خضراوين فى لون حشائش الأرض ، وتحولت بشرتها البيضاء إلى اللون الأسمر الجميل ، الذى يكسو جلد الحسناوات على شواطئ البحر .. لم تملك إلاّ الاعتراف ببراعة (أدهم) الفائقة ، وأستاذيته فى فنّ التنكر ، وبرغم ذلك شعرت بقلق خفى يملأ عروقها ، فسألته بتردد :

— ماذا تنوى أن تفعل الآن يا (أدهم) ؟

تنهد (أدهم) بعمق ، وقال :

— كالمعتاد يا عزيزتى .. سأدفع (چيمس براند) إلى الاتصال بنا .

نظرت إليه بدهشة ، وقالت :

— وكيف سندفعه إلى ذلك فى هذه المرة ؟.. لقد جذبناه فى المرة الماضية بسبب تفوقك المفاجئ والمذهل فى مسابقة الروديو .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

— سنستغل نفس نقطة الضعف داخل قلب صديقنا (چيمس براند) .. الجياد .. إن (چيمس) يعشق الجياد النادرة ، والأصيلة ، القوية .. يعشقها إلى درجة أنه فضل أن يتركنى أهرب على أن يغامر بإطلاق النار على جياده ، برغم شدة غضبه ، وحنقه تجاهى ..

وتحوّلت لهجته إلى الاحترام وهو يردف قائلاً :

— لقد درست مخابراتنا هذه النقطة ، وقررت أن تضع أمام (چيمس براند) طُعْمًا يسيل له لعابه .

ومال نحو (منى) ، وهو يقول بلهجة تشوبها السخرية :

— جواد عربى أصيل ، شاهق البياض ، نحيف

البطن ، قوى الصدر ، منتصب الرأس .. جواد كفيل بإجبار (چيمس براند) على الزحف تحت أقدامنا من أجله .

شهقت (منى) بإعجاب ودهشة ، وصاحت :

— يا لها من وسيلة رائعة !! إن مخابراتنا غاية فى الذكاء .

تراجع (أدهم) بظهره ، وعاد يسترخى فى مقعده ويقول بهدوء :

— ليس بقلبى أدنى شك فى هذا الأمر يا عزيزتى .. إن كل خطوة تم دراستها بدقة بالغة ، وكل ما علينا الآن هو أن ننتظر حتى يسعى إلينا (چيمس براند) بقدميه .

* * *

رفع (ماكدونالد) مأمور مدينة (لاريدو) قبعته الرسمية ، ووضعها بكفه أمام صدره وهو يدخل بخطوات مترددة إلى مكتب (چيمس براند) ، داخل

القصر الضخم ، وأخذ يجفف العرق الغزير الذى انهمر على جبهته من شدة ارتباكه ، عندما رفع (چيمس) عينيه ببرود ، وركزهما على عينى (ماكدونالد) ، وتعمّد أن يظل صامتًا فترة طويلة ، وهو يتأمل المأمور ذا الوجه المكتنز ، الحليق ، والرأس الكثيف الشعر ، والفم الصغير ، والقامة القصيرة ، والكرش البارز .

ولمّا طال الصمت ، قال (ماكدونالد) بارتباك :

— لقد فتشت (لاريدو) بأكملها ، ولم أجد أثرًا للرجل الذى تبحث عنه يا مستر (چيمس) .

قال (چيمس) ببطء وبرود :

— هل أحضرت قائمة بالغرباء فى (لاريدو) ؟

أخرج (ماكدونالد) من جيب قميصه ورقة مطوية ، فردها بأصابع مرتجفة ، وناولها إلى (چيمس) الذى ألقاها بجواره ، محاولاً التظاهر باللامبالاة ، ثم أشار بسبابته إشارة متعجرفة ، فهم (ماكدونالد) أنها تعنى انتهاء مهمته ، وأمر بالانصراف ، ولكنه تردّد ،

وعاد يجفف العرق من جبهته ، وقال :

ــ هناك أمر آخر يهمك يا مستر (جيمس) .

رفع (جيمس) إليه رأسه بهدوء ، وقال :

ــ هات ما عندك أيها المأمور ، ولكن أسرع : فليس لدى وقت للمهاترات .

جفف (ماكدونالد) عرقه مرة ثانية ، وقال :

ــ لقد وصلت عربة من نوع النصف نقل إلى (لاريدو) منذ ساعة واحدة ، وعلى متنها أروع جواد وقع عليه بصرى طيلة حياتى .

اعتدل (جيمس) ، وظهر الاهتمام على وجهه وهو يسأله :

ــ من أى أنواع الجياد هو ؟

قال (ماكدونالد) :

ــ إنه من النوع العربى الأصيل ، وبياضه يلمع تحت الشمس ، لا تشوبه شائبة .

أشعل (جيمس) سيجاره بانفعال ، وعاد يسأل باهتمام :

ــ ومن يمتلك هذا الجواد أيها المأمور ؟

هدأ (ماكدونالد) عندما لمح ذلك الاهتمام فى وجه وملامح (جيمس) ، فقال بهدوء :

ــ يمتلكه ألمانى يدعى (أدولف هانز) ، يقيم فى فندق (لاريدو) ، وقد حضر إلى (تكساس) خصيصًا ليمتطى جواده الرائع فى صحرائها .

قطّب (جيمس) حاجبيه ، وأخذ يفكر بعمق فيما سمعه من (ماكدونالد) ، ثم قال :

ــ أريد منك أن تمنع هذا الرجل من مغادرة (لاريدو) ، حتى ألتقى به أيها المأمور .

ظهرت الدهشة على وجه المأمور وهو يقول :

ــ أمنعه ؟.. كيف يا مستر (جيمس) ؟.. إنه أجنبى ، وستعترض سفارته لو أننا ...

قاطعه (جيمس) قائلاً ببرود :

ــ إنك ستجد عددًا من الأسباب القانونية لمنعه من مغادرة (لاريدو) أيها المأمور ، وأنا لا أحب مناقشة مثل هذه الأمور .

تلعثم (ماكدونالد) وهو يقول :

ــ حسنًا يا مستر (جيمس) .. سنجد أسبابًا قانونية بالطبع .. سأنفذ كل أوامرك يا مستر (جيمس) ..

وما أن انصرف المأمور ، حتى تناول (جيمس) سماعة الهاتف ، وطلب رقمًا خاصًا ، وما أن سمع صوت الطرف الآخر حتى قال بلهجة تحمل أكثر من معنى :

ــ هناك خدعة تم إعدادها بدقة بالغة من أجل اقتناصى يا (ليفى) ، ولكن من وضعها نسى أن الألمان لا يميلون إلى الفروسية ، وأعتقد أن صاحبها هو الشيطان المصرى الذى نسعى خلفه .

* * *

أخذ (أدهم) يربت على عنق الجواد العربى بحنان وألفة ، وقفزت غريزته إلى ذهنه بعادة قديمة ألفها أجداده فرسان العرب ، فمال على أذن الجواد ، وقال هامسًا كمن يحادث صديقًا قديمًا :

ــ معذرة يا صديقى .. لقد صنعت منك فخًا لاصطياد ملك الأوغاد .

وبقفزة ماهرة استقر فوق السرج المربوط حول ظهر وبطن الجواد ، وجذب عنانه بخبرة وقوة ، فرفع الحصان الأصيل قائمتيه الأماميتين ، وضرب بهما الهواء بقوة ، وهو يطلق صهيلًا تفتقت له قلوب العابرين ..

كان الجواد متعة تسرُّ الناظرين ، وخاصة فى بلدة مثل (لاريدو) ، اشتهر سكانها بعشق فروسية الغرب القديم ، وامتلأت كتب التاريخ فيها بأسماء أعظم فرسان الغرب ..

وانطلق (أدهم) بجواده الأبيض يخترق طرقات البلدة ، مظهرًا مهارته وبراعته فى قيادة الخيل ، ومتلقيًا شهقات الإعجاب ، وعبارات الافتتان من أفواه وقلوب السكان عدا رجل واحد تطلّع إليه باهتمام ، ومال على عملاق ضخم يجلس إلى جواره ، وقال :

ــ هذا هو الرجل الذى أخبرنا به (جيمس براند) .

أجابه العملاق باحترام :

ــ يبدو ذلك يا سنيور (جروشو) ، هل تحب أن أطلق النار على رأسه ؟



وانطلق (أدهم) بجواده الأبيض يخترق طرقات البلدة ، مظهرًا مهارته وبراعته فى قيادة الخيل ..

ابتسم (جروشو) وهو يضحك فى قرارة نفسه على غباء العملاق ، وقال :

ـــ ليس بعد يا (أنطونيو) ، فلابدَّ لنا من التأكد من هويّته أولًا ، فلو أنه لم يكن ذلك الشيطان المصرى الذى نسعى خلفه ، لتحوَّل هجومنا عليه إلى إنذار واضح لذلك الأخير .. وسنفقد فى هذه الحالة عنصر المفاجأة .

هز (أنطونيو) رأسه الضخم فى حيرة ، وقال :

ـــ ولكننا حضرنا إلى هنا من أجل ذلك يا سنيور (جروشو) .

تنهد (جروشو) بملل وأسف ، وقال :

ـــ عندما وضع (دون ريكاردو) خطته للقضاء على ذلك الشيطان المصرى يا (أنطونيو) ، حرص على ألّا يترك فيها أية ثغرات ، وهذا يحتم السير بخطوات بطيئة ، ولكنها مضمونة ، وهذه الخطوات تتطلب منا عدم اتخاذ أية خطوات هجومية ، قبل التأكد تمامًا من شخصية

(أدهم صبرى) ، بل حتى يمكننا محاصرته بشكل لا يدع مجالًا لمجرد احتمال الهزيمة .

بذل (أنطونيو) محاولة مستميتة لفهم عبارة (جروشو) ، ولمَّا شعر بفشله فى ذلك عاد يسأله :

ـــ أليس من العجيب أن يعمل رجالنا ورجال السنيور (ليڤى) ومستر (چيمس) ، من أجل القضاء على رجل واحد ؟.. لقد قتلت أنا وحدى أكثر من ثلاثين رجلًا .

ابتسم (جروشو) وهو يتابع (أدهم) ، الذى عاد بجواده الرائع إلى الفندق مرة ثانية ، وقال :

ـــ إن أصابعك لا تتشابه يا (أنطونيو) ، والرجل الذى نسعى خلفه يساوى وحده فرقة كاملة من فرق الكوماندوز .

هزَّ (أنطونيو) رأسه بغباء ، وقال :

ـــ وكيف سيمكننا التأكُّد من شخصيته أيها الزعيم ؟

ابتسم (جروشو) بثقة ، وقال :

ـــ إنها مهمة مستر (ليڤى) ورجال (الموساد) يا صديقى .

وتطلّع ببصره إلى (أدهم) ، الذى هبط من فوق صهوة الجواد ، وسلّم عنانه إلى أحد خدم الفندق ، وأحاط كتف (منى) بذراعه ، وسارا معًا إلى داخل الفندق ، فعاد (جروشو) يبتسم ، ويقول بلهجة ماكرة :

ـــ لو أن (أدولف هانز) هو نفسه ذلك الشيطان المصرى ، فسأشهد له بالبراعة والحنكة ، وسأعلّق هذه الشهادة على شاهد قبره .

* * *



٤ ــ العيون القاتلة ..

أعادت (منى) وضع العدسات الخضراء فوق حدقتيها ، ثم التفتت إلى (أدهم) ، وقالت :

ــ لقدْ مرّ يوم كامل دون أن يحاول (جيمس براند) الاتصال بنا ، برغم انطلاقك بالجواد أمام أعين الجميع .

ابتسم (أدهم) ، وقال بهدوء :

ــ لا تتعجلى الأمور يا عزيزتى .. إننا نسعى لتحطيم شبكة جاسوسية قويّة ، وفى مثل هذه الأمور يصبح الوقت عاملاً غير ذى خطر .

سألته باهتمام :

ــ إذن فأنت متأكد أنه سيسعى للاتصال بنا .

هز كتفيه ، وقال :

ــ بالطبع .. فأنا لا أتوقّع أن يهمل رجل مثله وجود مثل هذا الحصان الرائع .

وقبل أن تنطق (منى) بكلمة من العبارة التى كانت تودّ قولها ، سمع كلاهما صوت طرقات هادئة على باب غرفتهما ، فنظرت إليه بقلق ، إلّا أنه توجّه بهدوء نحو الباب ، وقال بالألمانية :

ــ مَنْ بالباب ؟

انساب عبر الباب المغلق صوت هادئ رقيق يقول بالأمريكية :

ــ معذرة يا هر (أدولف) ، إننى لا أجيد الألمانية التى تتحدث بها .

فتح (أدهم) الباب بهدوء ، ورفع حاجبيه عندما وقع بصره على الفتاة التى تقف خارج الغرفة ..

كانت فى أواخر العشرينات من عمرها ، رقيقة الملامح إلى درجة كبيرة ، بعينيها الواسعتين وفمها الرقيق ، وحاجبيها الرفيعين ، وأنفها المستقيم ، تحمل فوق رأسها شعرًا ناعمًا أسود ينسدل قصيرًا على سطح كتفيها .. بلا تنسيق ، ويحيط وجهها البيضاوى بنعومة ، وهى

ترتدى فستانًا زرعى اللون ، قصيرًا لا يصل إلى ركبتيها ، وما أن وقع بصرها على وجه (أدهم) حتى ابتسمت ابتسامة تقطر عذوبة ، وهى تقول بصوتها الهادئ الرقيق :

ــ معذرة لقدومى دون موعد سابق يا هر (أدولف) .. هل تسمح لى بالدخول ؟

تنحّى (أدهم) عن الباب ، وأشار إليها بالدخول ، فتقدمت بحذائها الرقيق ، ذى الكعب المرتفع الرفيع ، وما أن وقع بصرها على (منى) حتى توقفت وكأنها قد رأت ما لم تتوقعه ، فقال (أدهم) بلغة إنجليزية تعمّد أن يجعلها تبدو ركيكة للغاية :

ــ رفيقتى (رواندا) .. إنها أسبانية كما هو واضح من اسمها .

حيّت الفتاة (منى) بإيماءة من رأسها ، والتفتت إلى (أدهم) قائلة :

ــ اسمى (سونيا) .. (سونيا جراهام) من هواة

الفروسية ، أو من عشاقها إذا توخينا الدّقة ، ولقد جذب جوادك العربي الأبيض انتباهي إلى درجة كبيرة ، وفكرت لو أنك ترغب في بيعه يمكنني أن ...

قاطعها (أدهم) بهدوء قائلاً :

ـ معذرة يا سيِّدتي .. فهذا الجواد ليس للبيع .

ابتسمت (سونيا) ، وتألّقت عيناها العسليتان ببريق جذّاب وهي تقول :

ـ ربّما لو سمعت الرقم الذي أعرضه ..

عاد (أدهم) يقاطعها قائلاً :

ـ حتى لو كان مليونًا من الدولارات ، فأنا أرفض بيعه .

ظهر الغضب على محيّاها ، عندما فتح (أدهم) باب الغرفة وكأنه يطلب منها الانصراف ، فعضت شفتيها الرقيقتين بغيظ ، وقالت :

ـ يمكنك على الأقل أن تعاملني بأسلوب مهذب يا هر (أدولف) .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال ببساطة :

ـ عندما يكون لديّ ما يكفي من الوقت يا سيِّدتي .

توتّرت عضلات وجه (منى) فجأة ، عندما تراجعت (سونيا) خطوة إلى الوراء ، وتألقت ابتسامتها بسخرية وهي تنظر في عيني (أدهم) مباشرة ، وتقول بلغة عربية سليمة :

ـ ألم يحن الوقت بعد للتوقف عن أداء هذه التمثيلية الهزلية أيها المقدم (أدهم صبري) ؟

حمدت (منى) الله لأن (سونيا) توليها ظهرها ، حتى لا ترى القلق الذي ملأ ملامحها ، أما (أدهم) فلم تتغير ملامحه على الإطلاق ، بل مال نحو (سونيا) ، وقال بلهجة من لم يفهم معنى كلماتها :

ـ معذرة يا سيدتي ، إنني لم أفهم كلمة واحدة مما قلت .

أخذت (سونيا) تحدّق في عيني (أدهم) بتحد

وصمت نحو ربع دقيقة ، ثم تظاهرت بالمرح ، وقالت :

ـ أوه .. لقد نسيت نفسي لحظة ، وتحدثت إليك باليونانية التي أقوم بدراستها في الوقت الحالي .. عفوًا يا هر (أدولف) ، لقد كنت أعتذر عن حضوري دون موعد سابق .

ابتسم (أدهم) ، وقال بهدوء :

ـ لا عليك يا سيدتي .. لقد أسعدتني رؤية عينيك الرائعتين .

وما أن غادرت (سونيا) غرفة (أدهم) ، حتى تنهّدت (منى) ، وقالت :

ـ يبدو أنهم قد كشفوا أمرنا يا (أدهم) .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ـ من تقصدين يا عزيزتي ؟.. إن صديقتنا (سونيا) هذه تتبع (الموساد) .

حدّقت (منى) في وجه (أدهم) بدهشة ، ثم نقلت بصرها إلى باب الغرفة ، وكأنها تحاول متابعة

(سونيا) ببصرها عبر الباب المغلق ، وعادت تحدّق في وجه (أدهم) ، الذي ضحك وهو يقول :

ـ لماذا يدهشك تدخل (الموساد) إلى هذا الحد ؟.. لقد كنت أتوقع ذلك منذ وقعت عيناي على (ليڤي) .

قالت (منى) بغضب :

ـ ليس هذا ما يدهشني ، ولكنني أتساءل : كيف عرفت ذلك ؟

ابتسم وهو يقول :

ـ لغتها العربية السليمة تشير إلى أنها إحدى المهاجرات من الدول العربية ، وملامحها كعادة بني جنسها ، تجمع بين الشرقية والغربية .

لم يكن هذا الاستنتاج مقنعا لـ (منى) ، فتطلعت إليه بشك دفعه للضحك ، وهو يردف قائلاً :

ـ ثم إن لها ملفًا ضخمًا في المخابرات المصرية تحت باب (خطير جدًا) ، وأنا أحفظ ملامحها جيّدًا .

زوت (منى) ما بين حاجبيها ، وقالت بشك :

ـــ خطير جدًا ؟.. إنها تبدو رقيقة للغاية !!

قال (أدهم) بهدوء :

ـــ لا أنكر أنها رقيقة وجميلة للغاية يا عزيزتى ، وخاصة عينيها ، ولكن تذكرى أن النمر من أجمل حيوانات الغابة شكلاً ، ولكنه أيضًا أشرسها طباعًا .. وهذه الجميلة الرقيقة التى رأيتها الآن لا تتردد لحظة واحدة فى إطلاق النار على طفل رضيع ، دون أن يطرف رمش واحد من عينيها الرائعتين .

وتحوّلت لهجته إلى السخرية وهو يستطرد :

ـــ يبدو أننى سأبدأ فى الاستمتاع بهذه المغامرة الطريفة .

* * *

٥ ـــ الحرب الخفيّة ..

جلست (سونيا جراهام) على مقعد صغير ، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى ، ودسّت بين شفتيها الرقيقتين سيجارة طويلة ، أسرع (ليڤى) يشعلها لها بقداحته ، ثم سألها بقلق :

ـــ كيف وجدت الأمر ؟

نفثت دخان سيجارتها بهدوء ، ونظرت إليه بعينيها العسليتين نظرة تفيض دهاءً وهى تقول :

ـــ إنه هو بلا شك .. صحيح أن ملامحه مختلفة تمامًا ، فهو أستاذ فى فنّ التنكّر ، كما أخبرونا عنه ، ولكننى تعرّفته بالطريقة الفرنسية .

ابتسم (ليڤى) بخبث ونشوة وهو يقول :

ـــ عن طريق الأذنين .. أليس كذلك ؟

أومأت برأسها موافقة ، وقالت :



ودسّت بين شفتيها الرقيقتين سيجارة طويلة
أسرع (ليڤى) يشعلها لها بقداحته ..

ـــ بلى .. عظماء هؤلاء الفرنسيُّون .. لقد توصّلوا منذ بدايات القرن التاسع عشر إلى أن أذن الإنسان تشبه بصماته تمامًا ، فلا يتشابه فيها اثنان .

فرك (ليڤى) كفّيه بجذل ، وقال :

ـــ عظيم .. ها قد وقع الشيطان المصرى أخيرًا .

نهضت (سونيا) وأطفأت سيجارتها قبل أن تتمها وهى تقول :

ـــ أنت تعلم أنها المرة الأولى التى ألتقى به فيها وجهًا لوجه .. إنه يمتلك أعصابًا فولاذية ، ووجهًا وسيمًا للغاية .

ابتسم (ليڤى) بسخرية ، وقال :

ـــ إنه يمتلك أيضًا عددًا مذهلاً من المهارات المختلفة ، ولكننا سنقضى عليه قبل أن يتنبه لوجودنا .

عقدت (سونيا) ساعديها أمام صدرها ، وقالت :

ـــ هل ستخبر الآخرين بما توصلنا إليه ؟

أشاح بكفه فى حنق وهو يقول :

— هُراء .. لقد توصّل (الموساد) إلى كشفه ، ثم إننى كنت صاحب فكرة قدومه إلى (لاريدو) مرة أخرى ، ولم يصدّق هؤلاء الأغبياء إقدامه على ذلك ، إلاّ بصعوبة ، ولكننى درست شخصيته جيّدًا .. إنه يفعل دائمًا ما لا يتوقعه هؤلاء الأغبياء .

وزفر بضيق قبل أن يتابع :

— هل تتصوّرى بعد كل ذلك أن أقدمه لقمة سائغة لرجال (دون ريكاردو) الأغبياء ، أو لـ (چيمس براند) المغرور ؟

وتألقت عيناه ببريق وحشىّ وهو يستطرد بشراسة :

— لا يا عزيزتى (سونيا) .. إن (أدهم صبرى) هو عدوّ (الموساد) رقم واحد .. و (الموساد) وحده هو الذى سيتشرف بتمزيقه إربا .

* * *

تنهّدت (منى) بعمق ، وقالت وهى تتطلع إلى (أدهم) الذى انهمك فى تنظيف مسدسه :

— هل سنجلس ساكنين هكذا طوال الوقت بانتظار ما يقدم عليه خصومنا ؟

ابتسم (أدهم) بهدوء ، وقال :

— كان هذا الأمر سيضايقنى لو تعلق به شخص آخر لم يعمل معى من قبل يا عزيزتى .

قالت بحنق :

— ماذا ننتظر إذن ؟

وضع (أدهم) مسدسه فى جيب سترته ، والتفت إليها قائلاً :

— إننى أحاول دراسة الموقف من جديد بعد ظهور (سونيا جراهام) .. فمع وجود عقرب سام مثلها ، يحتاج الأمر إلى مزيد من الحذر .

مطّت شفتيها وهى تقول :

— وماذا تكون (سونيا جراهام) هذه ؟.. لقد رأيتك تحطّم من هم أكثر شراسة ووحشية منها .

ضحك (أدهم) ، وقال :

— لن يضيرنا انتظار بعض الوقت يا عزيزتى .

ثم ابتسم بخبث وهو يقول :

— ولتعلمى أن مخابراتنا لا تضيع هذا الوقت هباءً ، فهم فى هذه اللحظة يضعون أيديهم على السلاح الذى سيحطم (چيمس براند) ، ويكسر أنفه وأنف شبكته نهائيًا .

وقبل أن تسأله (منى) عما يقصد ، سمع كلاهما طرقات عنيفة على باب الحجرة ، فقال (أدهم) ببساطة :

— من بالباب ؟

جاءهما صوت المأمور (ماكدونالد) أجشّ قويًا يقول :

— المأمور (ماكدونالد) يا هر (أدولف) .

فتح (أدهم) الباب بهدوء ، وابتسم بسخرية وهو يقول :

— كيف حالك أيها المأمور ؟.. وكيف حال الأمن فى (لاريدو) ؟

رسم (ماكدونالد) علامات الصرامة على وجهه وهو يقول :

— لقد خالفت القانون يا هر (أدولف) ، وسأضطر لإلقاء القبض عليك .

ازدادت ابتسامة (أدهم) سخرية وهو يقول :

— هكذا ؟!.. وكيف فعلت أنا ذلك أيها المأمور ؟

تلعثم المأمور وهو يحاول البحث عن سبب منطقى ، فلم يكن يتوقع هذا الأسلوب الساخر من (أدهم) ، ولم يلبث أن كسا وجهه بقناع من الغضب وهو يقول :

— لقد .. لقد امتطيت جوادك فى الطرقات دونما ترخيص .

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة أثارت غضب المأمور ، وقال :

— عجبا .. لقد قرأت قوانين ولاية (تكساس) كلها ، ولم أجد نصًّا بذلك .

شعر المأمور بحيرة بالغة ، فقال بغضب :

ــ سنبحث ذلك فيما بعد .. أمّا الآن فسألقى القبض عليك .

هز (أدهم) كتفيه ببساطة ، وقال :

ــ فليكن أيها المأمور ، ولكن ثق بأن خمسة من كبار المحامين فى الولايات المتحدة سيطالبونك بتفسير لذلك قبل أن ينبلج الصباح ، وثق أيضًا أننى لا أقبل أقل من خمسة ملايين دولار على سبيل التعويض .

انهارت صرامة المأمور فجأة ، وشعر بحرج الموقف الذى يواجهه ، فقال بتلعثم :

ــ على الأقل ستعدنى بعدم مغادرة البلدة ، حتى أمنحك الإذن بذلك .

كانت لهجته أقرب إلى التوسّل ، إلاّ أن (أدهم) قال بصرامة :

ــ مطلقًا أيها المأمور .. سأغادر (لاريدو) وقتما يحلو لى .

ثم أغلق الباب بقوة ، قبل أن يمنح المأمور فرصة للرد

على عبارته ، والتفت إلى (منى) ، وقال بلهجته التهكّمية دائمًا :

ــ لقد اقتنعت برأيك يا عزيزتى .. ينبغى لنا أن نعمل بسرعة قبل أن يضيق هؤلاء الأوغاد حصارهم حولنا .

* * *

ثبت (أنطونيو) عدسته المقربة على ظهر البندقية الضخمة التى يمسك بها ، وقال لـ (جروشو) الواقف إلى جواره بسعادة :

ــ هذا هو العمل الذى أحبه .. أخيرًا سنطلق الرصاص .

ثم امتلأت ملامحه بالحيرة وهو يقول :

ــ ولكن لماذا قررت قتل هذا الألمانى فجأة يا سنيور (جروشو) ، برغم أن السنيور (ليفى) قد أكد أكثر من مرة أنه ليس الرجل المنشود ؟

ابتسم (جروشو) بدهاء ، وقال :

ــ هذا هو بالضبط ما جعلنى متأكدًا من أن هذا هو الرجل المطلوب ، فقد أسرف (ليفى) كثيرًا فى تأكيده بشكل مثير للشبهات .. إنه ينوى الاستئثار به يا صديقى .

حاول (أنطونيو) أن يفهم معنى ما يقوله (جروشو) ، عندما شعر بعجز عقله عن ذلك .. هز كتفيه بلا مبالاة ، وأسند كعب البندقية إلى كتفه ، ونظر من خلال عدستها إلى نافذة غرفة (أدهم) المضيئة ، وقال :

ــ كيف سنجبرهم على الوقوف أمام النافذة أيها الزعيم ؟

ابتسم (جروشو) ، وقال وهو يتناول سماعة الهاتف :

ــ أمر بسيط للغاية يا صديقى .. إن الهاتف فى الجانب الآخر من الغرفة ، ولكى يتقبّل هذا الشيطان المصرى أية مكالمة ، لابدّ له من العبور أمام النافذة .

طلب (جروشو) رقمًا ، وانتظر حتى رأى ظلاً يتحرك خلف ستارة النافذة ، فابتسم ، وتألقت عيناه وهو يصيح آمرًا :

ــ الآن يا (أنطونيو) .

وبسرعة جذب (أنطونيو) زناد البندقية ، فانطلقت من فوهتها الرصاصة القاتلة .

* * *



٦ ــ واندلعت النيران ..

كان (أدهم) يتجه بخطوات هادئة إلى الهاتف ، عندما فوجئت به (منى) يقفز فجأة إلى الخلف ، فى نفس اللحظة التى اخترقت فيها الرصاصة زجاج النافذة ، فهشَّمته بدوىٍّ مسموع ، وتناثر الزجاج فى أنحاء الغرفة .

قفزت (منى) من مقعدها وهى تصيح بجزع :

ــ يا إلهى !! ماذا حدث ؟

أخرج (أدهم) مسدسه ، وأمسك يدها وهو يتحرك بسرعة نحو باب الغرفة قائلاً :

ــ لقد بدأت الحرب يا (منى) .. إن هذه الطلقة هى الدليل على أنهم قد أصبحوا واثقين من شخصيتنا .

ولم يكد (أدهم) يفتح باب الغرفة ، حتى فوجئ بثلاثة رجال مسلحين يصوِّبون مسدساتهم نحوه ، وعلى وجوههم ملامح الظفر والثقة .

لم تدم تلك الملامح على وجوه الرجال الثلاثة أكثر من جزء من الثانية ، إذ انطلقت قبضة (أدهم) كالقنبلة لتهشم فك الرجل الأول ، فى نفس اللحظة التى تحركت فيها ساقاه فى آن واحد ، فأطاحتا بمسدس الرجلين الآخرين ، ثم هبط على قدميه ، وحطَّم أنف الرجل الثانى بمقدّم مسدسه ، وغاص فى الوقت نفسه بقبضته فى معدة الثالث ، وأعقبها بلكمة أخرى حطّمت فك الرجل ..

قفز (أدهم) بخفة من فوق الرجال الثلاثة ، الذين تكوّموا على أرض الممر ، وتبعته (منى) وهى تقول :

ــ ثلاثة رجال فقط ؟.. إنه قتال غير متكافئ .

كانا يهمان بهبوط درجات الفندق عندما نطقت بهذه العبارة ، فأوقفهما سيل من الرصاص انهمر من عدة مدافع رشاشة من أسفل الدرج ، فقفز (أدهم) مبتعدًا ، ودار ببصره فى أنحاء الممر ، على حين قالت (منى) بجزع :

ــ يا إلهى !! لقد حاصرونا من كل مكان .

قطَّب (أدهم) حاجبيه وهو يقول :

ــ لابدّ أن هناك مخرجًا ما .

دارت (منى) ببصرها فى المكان بفزع ، وقالت :

ــ إن الفندق يبدو كما لو كان خاليًا إلاّ منا .. إن روّاد الفندق لا يجرءون على الخروج فى أثناء تلك الحرب الدائرة .

لم يعقِّب (أدهم) على قولها ، وإنما تألّقت عيناه ببريق ساخر وهو يقول :

ــ دعى النزلاء فى غرفهم يا عزيزتى .. لقد عثرت على مخرج للنجاة .

* * *

انتشر رجال (المافيا) فى الفندق كالنمل ، وهم يطلقون مدافعهم الرشاشة بشراسة ، ولم تكد تمضى نصف الساعة حتى عمّتهم الحيرة ، فلم يكن هناك أثر لـ (أدهم) و (منى) فى أى مكان بالفندق ، وصاح (جروشو) بغضب :

— أين ذهبا إذن ؟.. هل تبخرا ؟

هزّ رجاله رءوسهم فى حيرة ، وقال أحدهم :

— لقد فتشنا كل مكان بالفندق أيها الزعيم ، ولم نعثر على أدنى أثر لهما .

ضغط (جروشو) على أسنانه بغيظ ، وهمّ بالصياح فى وجه رجاله ، عندما سمع صوتًا من خلفه يقول بغضب :

— هل لك أن تفسر لى معنى هذه الحماقة يا مستر (جروشو) ؟

استدار (جروشو) بحدّة ، فوقع بصره على (جيمس براند) ، يقف على باب الفندق ، وقد عقد ساعديه أمام صدره ، وهو متأنق جدًّا كالعادة ، وعلى وجهه علامات غضب عارم .

قال (جروشو) ببرود :

— إننا نتولّى قيادة المهمة يا مستر (جيمس) ، وأرجو ألاّ تصرّ على التدخل .

صاح (جيمس) بغضب شديد :

— ألاّ أتدخل ؟.. إنك تتجاوز حدودك يا مستر (جروشو) .. إننى أدفع سنويًّا خمسة ملايين دولار مقابل عدم تدخلكم فى (تكساس) ، وتأتى أنت لتقول لى ببساطة ألاّ أتدخل .

انفجر (جروشو) صائحًا :

— فلتذهب ملايينك الخمسة إلى الجحيم .. إننا نريد هذا الرجل .

احتقن وجه (جيمس) وهو يصرخ قائلاً :

— أنا أيضًا أريده أيها الصقلى المغرور ، ولكننى أنا أحكم (تكساس) .

وفى تلك اللحظة وصل (ليڤى) ، فأسرع يهدئهما قائلاً بليونة :

— رويدًا أيها الزعيمان .. إننا جميعًا نسعى خلف هذا الرجل ، ولو أننا اختلفنا فسيتسرّب هو من بين أيدينا .

دفعه (جروشو) بعيدًا وهو يصيح :

— هكذا ؟.. ولماذا إذن أخفيت عنّا ما لديك من معلومات ، ما دمنا سنتّحد جميعًا للتخلّص منه ؟

شحب وجه (ليڤى) ، وقال بتلعثم :

— إننى لم أحاول إخفاء أية معلومات يا مستر (جروشو) .. إنه مجرد سوء تخطيط .. لقد فشل عميلنا فى تعرّف (أدهم صبرى) .

ضحك (جروشو) بسخرية مريرة ، وقال :

— هل تظن أنك تتعامل مع طفل ساذج أيها القذر ؟

ابتلع (ليڤى) الإهانة ، وقال وهو يضع كفيه على كتفى (جيمس) و (جروشو) :

— مهلًا أيها السادة .. سنسئ إلى مراكزنا لو استمر شجارنا أمام رجالنا هكذا .. دعونا نصعد إلى غرفة ذلك الشيطان ، نتحدث قليلاً بهدوء .

تبادل الجميع نظرات عدائية ، ثم قال (جيمس) بغطرسة :

— ليس لدى مانع لبعض الحديث .

صاح (ليڤى) بجذل :

— عظيم .. عظيم .. هيا بنا ، وسنتوصّل إلى أسلوب منسّق بالتأكيد .

دلف ثلاثتهم إلى المصعد ببرود ، وضغط (ليڤى) على الزّر الذى يقود إلى الدور الرابع ، حيث غرفة (أدهم) ، وهو يقول بلهجة منافقة :

— إن زعيمين عظيمين مثلكما لا ينبغى أن يتنازعا هكذا .

صعد المصعد بهدوء ، وفجأة تألّقت عينا (جروشو) ، وصاح :

— مهلاً .. لقد عرفت أين يختفى ذلك الشيطان المصرى .

وهنا جاءهم صوت (أدهم) الساخر من خلال فتحة المصعد العليا يقول بهدوء :

— استنتاج متأخر أيها الوغد .

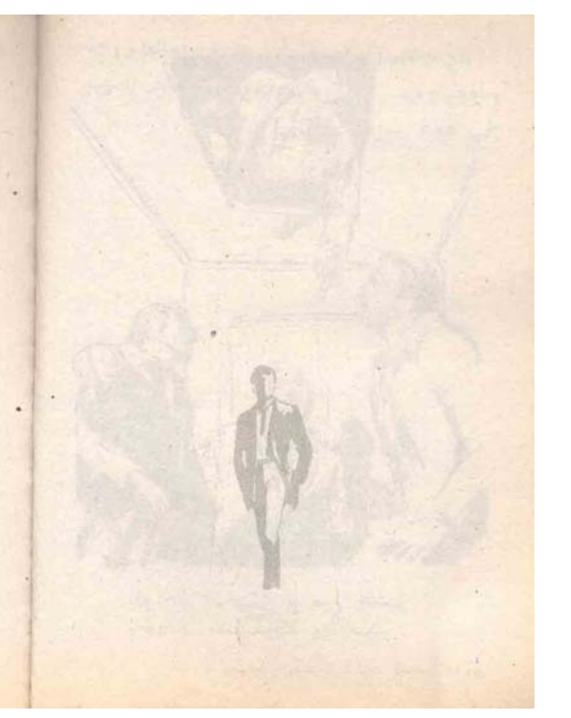
رفع ثلاثتهم وجوههم إلى أعلى بفزع ، فطالعهم وجه (أدهم) مبتسمًا بسخرية ، وبيده مسدس قوىّ يصوِّب إليهم فوهته بهدوء .

* * *





رفع ثلاثتهم وجوههم إلى أعلى بفزع ، فطالعهم وجه (أدهم) مبتسمًا بسخرية ، وبيده مسدس..



٧ ـ آلام الهزيمة ..

قبل أن يستوعب أحد الرجال الثلاثة المفاجأة التى واجههم بها (أدهم) كان قد قفز برشاقة إلى داخل المصعد ، وقال بلهجة ساخرة :

ـ يمكنك الهبوط يا عزيزتى ، فلن يعترض على وجودك أحد من هؤلاء السادة .

قفزت (منى) بدورها إلى داخل المصعد ، وأخذت تنفض الغبار عن ثوبها ، على حين قال (أدهم) متهكمًا :

ـ أشكرك جدًّا يا مستر (ليڤى) ، فلولا أسلوبك الدبلوماسى لاضطررت وزميلتى إلى النوم فوق سطح هذا المصعد حتى تنصرفوا جميعًا .

عضّ (ليڤى) على شفتيه بمرارة ، وقال (أدهم) بسخرية :

— ما رأيك يا عزيزتى ؟.. ها قد اقتنصنا الزعماء الثلاثة بضربة واحدة .

قال (چيمس) بحنق :

— إنه ذلك الوغد (ليڤى) ، واقتراحاته السخيفة .

أما (جروشو) فضغط على أسنانه ، وقال بغيظ :

— سيمزقك رجالى إربًا .

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

— يا للغرور !! هل تجرؤ على التفوه بهذه العبارة ، ومسدسى مصوَّب إلى صدرك .

بذل (ليڤى) مجهودًا خارقًا ليتغلب على الحنق الذى يملأ صدره ، ويبتسم قائلاً :

— مستر (أدهم) .. إن دولتى مستعدة لدفع مبلغ ...

قاطعه (أدهم) قائلاً بغضب :

— تبًا لدولتك ونقودها .. اصمت أيها الوغد أو

أفرغ رصاصات مسدسى فى رأسك .

شحب وجه (ليڤى) ولاذ بالصمت ، على حين ضغط (أدهم) على زر الهبوط قبل أن تنفتح أبواب المصعد ، وقال بسخريته اللاذعة :

— سنهبط الآن إلى الطابق الأرضى ، وأرجو أن تسيروا أمامى كالتلاميذ النبهاء ، فأنا أكره أن أطلق النار على ظهر أوغاد مثلكم .

امتقع وجه (جروشو) بغضب ، على حين قال (چيمس) :

— محال .. إننى أفضل الهزيمة على الاستسلام .

ضحك (أدهم) ، وقال :

— أعلم ذلك من تجربتى السابقة معك يا ملك الأوغاد .

ثم تحولت لهجته إلى الصرامة وهو يقول :

— ولكننى لا أظن أنك تفضل أن تعيش بعاهة مستديمة ، وأنا أقسم أن أطلق النار محطمًا مفصلى

ركبتيك ، إذا ما حاولت المقاومة .

شحب وجه (چيمس) بشدة .. لم يكن يهاب الموت ، ولكن الحياة على مقعد متحرك أمر يختلف ، فزم شفتيه ولاذ بالصمت ، حتى فتحت أبواب المصعد فى الطابق الأرضى ..

تطلّع رجال (المافيا) العشرة ورجلا (چيمس) بذهول ، عندما شاهدوا الزعماء الثلاثة يخرجون من المصعد ، وأيديهم فوق رءوسهم ، وخلفهم يسير (أدهم) بابتسامته الساخرة ، وإلى جواره (منى) ، وهو يمسك بيده مسدسه المصوَّب إلى ظهور الرجال الثلاثة ، فصوَّب رجال (المافيا) مدافعهم الرشاشة نحوه بتردد ، ولكن (جروشو) قال بذعر :

— لا .. لا تطلقوا النار .

خفض الرجال فوهات مدافعهم الرشاشة بقلق ، وتابعوا ببصرهم زعماءهم الثلاثة يغادرون الفندق أسرى للرجل الذى يسمونه بالشيطان المصرى .

قال (چيمس) بمرارة ، عندما أصبحوا خارج المصعد :

— لن تفلت منّى أبدًا .. سأبحث عنك ، ولو اضطررت لأن أجوب العالم ، وأنفق ثروتى كلها .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال مشيرًا إلى (جروشو) :

— هلم يا زعيم (المافيا) .. ستقود السيارة التى سنستخدمها للهرب .

حدّق (جروشو) فى وجهه بدهشة ، وقال بحنق :

— ولماذا أنا ؟

هز (أدهم) كتفيه ببساطة ، وقال :

— إن رجالك هم الأكثر عددًا هنا ، ولن يجرؤ أحدهم على إطلاق النار ، ما دمت معنا فى نفس السيّارة .

تمتم (ليڤى) بحنق :

— يا لك من شيطان !!

مطّ (أدهم) شفتيه ، وقال :

ــ برغم عدم احترامى لهذا اللقب ، إلاّ أننى أشعر أنه مناسب فى هذه اللحظة .

ثم أشار إليه وإلى (چيمس) ، وقال :

ــ ابتعدا أيها السيدان ، فسننطلق فى الحال .

وما هى إلا دقيقة أو أقل حتى انطلقت السيارة القوية ، وعلى متنها (أدهم) و (منى) وزعيم (المافيا) الشاب .

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة وسبع دقائق صباحًا ، عندما توقفت سيارة سوداء فارهة ، بجوار السيارة الحمراء الرياضية ، التى استقلها (أدهم) و (منى) و (جروشو) ، فى الطريق الصحراوى الموصل ما بين مدينتى (لاريدو) و (سان أنطونيو) ، وقفز من السيارة السوداء (أنطونيو) رجل (المافيا) بجسده الضخم ، وهرع نحو السيارة الحمراء وهو يصيح :

ــ أيها الزعيم .. أيها الزعيم .. هل أنت بخير ؟

ثم تنهد بارتياح عندما وقع بصره على (جروشو) ، ووجهه ملقى على عجلة القيادة ، فأخذ يهزه بقوة وهو يكرر نداءه بصوته الأجش المزعج :

فتح (جروشو) عينيه ببطء ، فطالعه وجه ضخم ، يجمع ما بين الوحشية والغباء بأنفه الأفطس ، وعينيه الضيقتين ، وجبهته البارزة ، فتمتم بحنق :

ــ من أنت بحق الشيطان ؟

حدّق (أنطونيو) فى وجه (جروشو) بذهول ، وصاح بجزع :

ــ يا إلهى !! إنه أنا أيها الزعيم .. (أنطونيو) .. ذراعك الأيمن الذى تبطش به .

وضع (جروشو) كفّه أمام وجهه باشمئزاز ، وصاح بغضب :

ــ تبًا لك .. إننى لا أحتاج إلى كل هذا الصياح .

ثم مسح وجهه بكفّيه ، وقال :

ــ هيا .. قد هذه السيارة اللعينة .. سنعود إلى (لاريدو) .

سأله (جروشو) بلهجة تنم عن غبائه :

ــ ولكن أين الرجل والفتاة أيها الزعيم ؟

قال (جروشو) بضجر :

ــ لقد هربا فى سيارة أخرى ، كانت تنتظرهما هنا .. سيارة زرقاء من نوع البويك .

ثم أردف وهو يبتسم بخبث :

ــ لقد تحدثا بالألمانية دون أن يتصوروا أننى أجيدها بطلاقة .. لقد سمعتهما يقولان : إنهما فى طريقهما إلى (باتون روج) فى ولاية (لويزيانا) ، حيث ينتظرهما رفاق لهم .. وحيث ستنتقل أرض المعركة .

* * *

فتح (ليڤى) ذراعيه عن آخرهما وهو يهرع نحو (جروشو) ، وقد رسم على شفتيه ابتسامة مداهنة صائحًا :

ــ حمدًا لله على سلامتك يا مستر (جروشو) .. لقد خشينا أن يصيبك هذا الشيطان بسوء .

نحّاه (جروشو) بعيدًا ببرود ، ثم أشار إلى (أنطونيو) قائلًا :

ــ فلينتظرنا الرجال خارج الفندق يا (أنطونيو) ، فهناك حديث خاص سنتبادله معًا أنا ومستر (چيمس) ومستر (ليڤى) .

أطاع (أنطونيو) ، ورجال (المافيا) الأمر دون أية اعتراضات ، وما أن أصبح الزعماء الثلاثة وحدهم حتى أشعل (چيمس) سيجاره بعصبية ، وقال :

ــ حسنًا .. هل لديك أوامر جديدة يا مستر (جروشو) ؟

أشار (جروشو) إلى حيث يقف (ليڤى) ، وقال :

ــ نعم .. أريد أن يتنحى هذا الرجل ودولته عن المهمة بأكملها ، وإلا فسأضطر إلى تنحيته بالقوة .

شحب وجه (ليڤى) ، وقال بهدوء :

ــ كان ينبغى أن تستشير (دون ريكاردو) أولاً يا مستر (جروشو) ؛ لأن دولتنا تتعامل مع (المافيا) منذ أكثر من ....

قاطعه (جروشو) صائحًا بعصبية :

ــ تبًا لك ولدولتك يا (ليڤى) .. ستغادر هذه البلدة فى الحال على قدميك ، أو فى صندوق خشبى .

ازداد وجه (ليڤى) شحوبًا ، وقال بصوت متحشرج :

ــ إنك ترتكب خطأ بشعًا يا مستر (جروشو) .. لن يرضى (دون ريكاردو) عما تفعله .. ثم ..

ثم تحوّل صوته فجأة إلى الحدة وهو يتابع :

ــ ثم إن هذه البلدة تدخل فى نطاق سلطة مستر (چيمس براند) ، ولن أغادرها إلا إذا أمرنى بذلك .

تحوّل وجه (جروشو) إلى (چيمس براند) ، وقال ببرود :

ــ اسمع يا مستر (چيمس) .. إن هذا الرجل هو السبب فى كل ما حدث ، فلقد أخفى عنا معرفته لشخصية (أدهم صبرى) ، وحاول الاستئثار به لنفسه ، وهذا ما أدّى إلى تلك الهزيمة ، التى أشعر بمرارتها فى حلقى حتى الآن .

نفث (چيمس) دخان سيجارته بهدوء ، وقال :

ــ ألا تلاحظ أنك تتعدّى على سلطاتى هنا يا مستر (جروشو) .. إننى أدفع سنويًا خمسة ملايين ..

قاطعه (جروشو) بلهجة جافة باردة وهو يقول :

ــ يمكنك توفير ملايينك الخمسة يا مستر (چيمس) ، فـ (المافيا) منظمة غنيّة لا تحتاج لأموالك ..

وبرقت عيناه وهو يستطرد بلهجة صارمة :

ــ وسيخرج هذا الرجل من (لاريدو) ، أو ينفسخ العقد المبرم بيننا يا مستر (چيمس) .

احتقن وجه (چيمس) غضبًا وحنقًا ، ودارت فى

رأسه أفكار شتى .. كان يكره أن يعامله أحد بهذا الأسلوب ، ولكنه يكره أكثر ضياع سلطانه فى (تكساس) ؛ ولذلك فقد قال بلهجة متخاذلة :

ــ حسنًا يا مستر (ليڤى) .. فلتتنحّ دولتك عن المهمة ، وأعدك أن نقوم بها خير قيام .

تحوّل شحوب وجه (ليڤى) إلى ما يشبه وجوه الموتى وهو يقول :

ــ أنكما على خطأ .. لن يمكنكما النجاح بدون معاونة (الموساد) ، وإمكاناته الضخمة .

صاح (جروشو) بغضب يطلب (أنطونيو) ، فهرع إليه هذا الأخير ، فأشار إلى (ليڤى) ، وقال بلهجة لا تحتمل النقاش :

ــ احرص على حراسة مستر (ليڤى) ، وأعوانه حتى يغادروا حدود (تكساس) .. أرسل معهم بعض الرجال لتأكيد مغادرتهم الولاية .

قال (ليڤى) بخبث :

احتقن وجه (چيمس) غضبًا وحنقًا ، ودارت فى رأسه أفكار شتى ..

— أية أعوان يا مستر (جروشو) ؟.. إننى هنا وحدى .

نظر إليه (جروشو) بتحدٍّ ، ثم التفت إلى (أنطونيو) مكمِّلًا :

— حسنا يا (أنطونيو) .. سيغادرنا (ليڤى) وحده .. أما لو رفض فيمكنك أن تأمر الرجال الذين سيصاحبونه بإفراغ مسدساتهم فى رأسه الأصلع .

وابتسم بسخرية وهو يستطرد :

— وما دام ليس لديه أعوان هنا فلن نسمح له بتوديع أحد .. سيصحبه الرجال من الفندق إلى خارج الحدود مباشرة ، ولن يصرح له حتى بالتحدث تليفونيًّا .

ابتسم (أنطونيو) مجاملاً لزعيمه ، وإن لم يستوعب عقله المحدود سبب هذه التعليمات ، فقال :

— ومن من الرجال سيصحبه أيها الزعيم ؟

قال (جروشو) بهدوء :

— جميعهم يا (أنطونيو) ما عداك ، فستبقى إلى جوارى .

اتسعت عينا (أنطونيو) دهشة وهو يقول :

— جميعهم أيها الزعيم ؟.. هل سنتخلَّى عن هذه المهمة ؟

ظهر الغضب على وجه (جروشو) ، وصاح :

— كلا بالطبع أيها الأحمق .. لقد فر الشيطان المصرى وزميلته إلى (باتون روج) ، فليس هناك مبرر إذن لوجودنا فى (لاريدو) .. ما أن يصحب الرجال مستر (ليڤى) إلى خارج الحدود ، حتى يكون عليهم أن يسبقونا إلى (باتون روج) .

واستعاد هدوءه بسرعة وهو يتابع :

— وسأبقى هنا لتنسيق الموقف مع مستر (چيمس) فى قصره .

أومأ (چيمس) برأسه موافقًا فى حنق ، على حين تقدم (أنطونيو) نحو (ليڤى) ، ولكزه بقبضته قائلاً :

— هلم يا مستر (ليڤى) .. إن الحدود بعيدة إلى درجة تحتاج إلى الانطلاق بسرعة .

سار (ليڤى) بخطوات هادئة إلى خارج الفندق .. كان مطمئنا إلى أن (سونيا جراهام) ستتولى الأمر بدلاً منه ما دام أحدهم لا يعلم بوجودها ، أو انتمائها إلى (الموساد) .. ولكنه ما أن أصبح على بعد خطوة واحدة من الباب حتى سمع (جروشو) يقول بلهجة ساخرة :

— لقد استبقيتك معى يا (أنطونيو) ؛ لأننى أريد منك بعد انصراف مستر (ليڤى) أن تنبش الأرض حتى تحضر لى من تدعى (سونيا جراهام) ، فسيدور بيننا حوار ممتع .

شحب وجه (ليڤى) بشدة ، حين انطلقت من حنجرة (جروشو) ضحكة عالية ساخرة .

* * *

٨ — مفاجأة شيطانية ..

أخذ (چيمس براند) يذرع غرفة مكتبه الفاخرة بغضب جيئة وذهابًا ، ثم التفت إلى ساعده الأيمن (أندرو) ، وقال بحنق :

— من يظن نفسه هذا المدعو (جروشو مانيانى) .. لقد حضر إلى (لاريدو) بجيش من رجال (المافيا) ، ثم تجرأ على تحدى أوامرى وسلطانى ، ووصل به الأمر إلى تحدِّى (الموساد) بأكمله .. بل لقد وصل به الأمر إلى الحضور والنوم فى قصرى برغم معاندته لى .

ازدرد (أندرو) ريقه ، وقال بهدوء :

— إنه زعيم (المافيا) نيابة عن (دون ريكاردو) يا سيدى ، وأنت تعلم مدى قوة وشراسة عصابات (المافيا) ، ومن الأفضل إطاعته حتى تمر هذه الأزمة .

ضرب (چيمس) مكتبه بقوة وغضب ، وهو يقول :

— إنه ذلك الوغد (ليڤى) .. لقد أصرّ على الاستعانة بـ (المافيا) .. لو أننى أعلم أن كل ذلك سيحدث لما وافقته على الإطلاق .

حاول (أندرو) تهدئة زعيمه ، فقال :

— إن الحكمة تقتضى التجاوز عن كل هذه الانفعالات ، حتى يمكننا الاحتفاظ بسيطرتنا على ولاية (تكساس) يا مستر (چيمس) .. فأنت تعلم أنه لو تدخلت (المافيا) هنا ، فلن يمكننا مواجهتها أو تحدّيها على الإطلاق .

تناول (چيمس) أحد السيفين المعلّقين على الحائط خلف مقعد ضخم ، وألقى به بحده نحو أرضية الغرفة وهو يصيح بغضب :

— وهذا ما يثير حنقى يا (أندرو) .. كيف نجح رجل واحد مثل (أدهم صبرى) فى تحدّى (المافيا) ثلاث مرات ، على حين تعجز منظمتنا بأكملها عن ذلك .

وقبل أن يجيبه (أندرو) طرق الباب مرتين ، فصاح (چيمس) يطلب من الطارق الدخول ، فظهر وجه أحد خدمه يقول :

— هناك عملاق يدعى (أنطونيو) يطلب مقابلة مستر (جروشو) يا سيّدى ، وبصحبته فتاة بارعة الحسن ، وهو يصوّب إليها مسدسه ، ويلوى ذراعها بقسوة .

قطّب (چيمس) حاجبيه ، وقال :

— إنه ذلك الخنزير الغبى (أنطونيو) .. لابدَّ أنه عثر على (سونيا جراهام) .

ثم رفع رأسه نحو خادمه ، وقال :

— أحضرهما إلى هنا ، وأسرع بإيقاظ مستر (جروشو) .

أسرع الخادم لتنفيذ الأمر ، على حين التفت (چيمس) إلى (أندرو) ، وقال بحنق :

— ها قد تحوّل قصرى إلى مكان لمقابلات ومحاورات (المافيا) .

ابتسم (أندرو) وهو يقول بهدوء :

— لا عليك يا سيّدى .. لقد عثر مستر (جروشو) على ضالته ، ولابدَّ أنه سيسرع باللحاق برجاله فى (باتون روج) ، خلف ذلك الشيطان المصرى .

وفى تلك اللحظة ، دخل (أنطونيو) بقامته الضخمة ، وقد تورمت إحدى عينيه بشكل زاد ملامحه بشاعة ، وهو يدفع أمامه (سونيا جراهام) بقسوة ، وقد لوى ذراعها الأيمن خلف ظهرها ، وغرس مسدسه فى عنقها الجميل ، وما أن أصبح داخل غرفة المكتب حتى دفعها بقوة ، وهو يقول :

— تبًّا لذلك العصر .. لقد أصبحت النساء أكثر شراسة من الرجال .

لم يعلق (چيمس) أو (أندرو) على عبارته ، إذ اتسعت عيونهما دهشة لمرأى ذلك الجمال النادر ، الذى يتمثل فى ملامح (سونيا جراهام) ، برغم الشراسة والقسوة فى عينيها العسليتين .

أسرع (چيمس) يعاونها على النهوض وهو يقول برقة :

— معذرة يا سيدتى .. أرجو ألا يكون هذا الوحش قد أساء إليك !

أشار (أنطونيو) إلى عينيه المتورمة ، وهو يصيح بحنق :

— أسأت إليها؟!.. إنها هى التى أساءت إلىّ .. لقد كان الأمر يحتاج إلى مروّض وحوش للقبض على هذه الثمرة المفترسة .. إنها تجيد القتال بشكل يعجز عنه أعتى الرجال .

ابتسم (أندرو) وهو يتطلع إلى (سونيا) الجميلة ، وقال :

— وكيف أمسكت بها إذن يا مستر (أنطونيو) ؟

صاح (أنطونيو) بفخر :

— لقد ألقيت بجسدى فوقها ، فلم تحتمل ثقلى .

قالت (سونيا) بحنق وشراسة :

— لقد حطّم هذا الفيل ضلوعى .

صاح (أنطونيو) بغضب :

— تبًا لك .. لولا أن الزعيم أمرنى بإحضارك حية ما ترددت فى قطع عنقك .

وفجأة وقبل أن ينتبه أحدهم إلى خفتها انحنت (سونيا) ، والتقطت السيف الذى ألقاه (چيمس براند) على أرضية الغرفة ، ثم قفزت إلى الأمام ، وبحركة بارعة ضربت المسدس الذى يمسك به (أنطونيو) ، فأطاحت به بعيدًا ، ثم وضعت ذبابة السيف على عنقه وهى تقول بشراسة :

— ما رأيك لو بدلنا الأدوار ، فقطعت أنا عنقك أيها الخنزير ؟

امتقع وجه (أنطونيو) وشعر بالألم ، عندما انغرز طرف السيف الرفيع فى عنقه الضخم ، على حين صاح (چيمس) :

— كفى يا سيِّدتى .. لقد كان ينفذ الأوامر فحسب .



وبحركة بارعة ضربت المسدس الذى يمسك به (أنطونيو) ، فأطاحت به بعيدًا ، ثم وضعت ذبابة السيف على عنقه ..

وفجأة قفزت (سونيا) إلى الوراء ، ووضعت سيفها على عنق (چيمس) قائلة ببرود :

— أوامرك أنت .. أليس كذلك ؟

قفز (أندرو) من مقعده ، واستل مسدسه ، وصوَّبه إليها صائحًا :

— حذار أيتها المتوحشة ، مهما بلغ جمالك أو بلغت جرأتك ، فلو أنك مسست مستر (چيمس) بأدنى سوء فلن أتردد فى إفراغ رصاصات مسدسى فى رأسك .

وفى هذه اللحظة قفز (أنطونيو) محاولاً استرداد مسدسه وكرامته ، التى أهدرتها (سونيا) عندما هزمته ، ولكن يبدو أن أحدهم لم يتصوَّر لحظة أن هذه الجميلة الفاتنة تحمل فى داخلها شراسة نمرة متوحشة ، لا تعرف الرحمة ، أو التردُّد .. فلقد تحرَّكت (سونيا) بسرعة ومهارة مذهلتين ، فهوت بسيفها الرفيع الحاد على معصم (أندرو) ، فمزقته ، حتى أنه أطلق صيحة ألم قوية ، وسقط مسدسه من يده ، واندفعت الدماء من

جرحه بغزارة ، ثم قفزت برشاقة مدهشة ، وغرست سيفها فى قلب (أنطونيو) ، الذى جحظت عيناه ، وتدلَّت فكّه من فرط الألم ، والمفاجأة ، وتراخت قبضته التى كانت قد أمسكت بمقبض المسدس ، وتأوَّه بصوته المتحشرج ، عندما سحبت (سونيا) سيفها من صدره ، ثم سقط على وجهه جثة هامدة .

ولم تنتظر هى لتعلم مصيره ، وإنما قفزت مرة ثانية نحو (چيمس) ، الذى تملكه الذهول ، ووضعت طرف سيفها على عنقه وهى تقول بسخرية مدهشة :

— هل أدهشك ما حدث يا مستر (چيمس) ؟

نظر (چيمس) بجزع إلى (أندرو) ، الذى أخذ يتأوَّه بألم ورعب ، وهو يحاول بلا فائدة منع الدم المتدفق من معصمه المقطوع ، وقال بتلعثم :

— إنك .. إنك متوحشة .. لابدَّ من إسعاف (أندرو) .

قالت بهدوء وهى تضغط طرف سيفها على عنقه :

— ليس بعد .. ربما حين تخبرنى : لمَ أمرت رجالك بإحضارى إلى هنا ؟

صاح (جيمس) بمزيد من الألم والحنق :

— إننى لم أفعل ذلك .. اللعنة !! إنها ليست فكرتى .

سالت قطرة من الدماء من عنق (جيمس) ، عندما زادت (سونيا) من ضغط سيفها وهى تقول بشراسة :

— مَنْ إذن يا مستر (جيمس) ؟

ثم تراجعت بحدة عندما جاء من خلفها صوت هادئ يقول :

— إنه أنا يا (سونيا جراهام) .

* * *

قفزت (سونيا) إلى الوراء ، والتفتت إلى مصدر الصوت ، فطالعها (جروشو) بقامته الممشوقة ، وملامحه الباردة ، واقفًا عند باب الغرفة ، وقد عقد كفَّيه خلف ظهره بهدوء ، فضاقت حدقتاها وهى تقول بحنق :

— هكذا ؟.. ولماذا أقدمت على هذه الفعلة الحمقاء يا مستر (جروشو) ؟

تطلَّع (جروشو) إلى جثة (أنطونيو) ، وإلى (أندرو) الذى تنزف دماؤه بغزارة ، ثم عاد يتطلَّع إلى السيف الرفيع الذى تمسك به (سونيا) ، وقال بهدوء :

— دعى هذا السلاح يا (سونيا) ، إن مجال استعماله فى مباريات الشيش فقط ، وليس هنا .

قالت ببرود :

— إنك لم تجب عن سؤالى بعد يا مستر (جروشو) .. أليست (المافيا) و (الموساد) حليفتين ؟

أجابها ببرود مماثل :

— ليس بعد يا (سونيا) .

برقت عيناها بشراسة وهى تمدّ سيفها إلى الأمام قائلة :

— فى هذه الحالة لن يلومنى أحد إذا ما قضيت على زعيم (المافيا) الحالى .

وقفزت بمهارة إلى الأمام ، وسيفها مشهر نحو صدر (جروشو) تمامًا ، وهى تزمع غرز سيفها فى قلبه ، كما فعلت مع (أنطونيو) ، ولكنَّ (جروشو) مال إلى اليسار بخفة ، وقفز قفزة مذهلة عبر بها قامة (سونيا) ، واستقر خلفها ، ثم عاد يضم كفيه خلف ظهره ، ويقول ببرود وسخرية :

— لابدّ أن تكونى أخف من ذلك أيتها الحمقاء .

استدارت (سونيا) إليه بحدة ، وهمّت بالقفز نحوه مرة أخرى ، عندما اتسعت عيناها دهشة بشكل أثار دهشة (جيمس) أيضًا ، وتعلّقت عيناها بأذن (جروشو) وهلة ، ثم صاحت بذهول :

— مستحيل !! ولكنك .. لست (جروشو مانيانى) !!.. إنك ذلك الشيطان المصرى (أدهم صبرى) !!

* * *

٩ — الفارس المصرى ..

كفّ (أندرو) عن التأوّه ، ونسى الآلام الشديدة والدماء الغزيرة التى تنزف من جرحه ، وتراجع (جيمس براند) بذعر ودهشة ، وهما يتطلعان إلى وجه (جروشو) ، الذى ظل هادئًا وهو يقول بلهجة ساخرة :

— رائع .. إنك تمتازين بقوة ملاحظة مذهلة يا عزيزتى (سونيا) .

وبهدوء شديد نزع الشعر البنى المستعار من فوق رأسه ، والقناع المصنوع بمهارة من (البولى إيثيلين) من فوق وجهه ، فبدت ملامح (أدهم صبرى) الوسيمة ، وابتسامته الساخرة وهو يقول :

— لقد كانت خطة مضمونة وأنيقة إلى درجة لم يمكننى مقاومتها ، فما أن أفقدت (جروشو) الأحمق

وعيه ، حتى شرعت فى إعداد هذا القناع الأنيق .. والأمر بسيط للغاية ، حتى أننى لم أستغرق سوى ساعة واحدة لأحصل على قناع شبيه تمامًا بزعيم (المافيا) ، ولقد حرصت مخابرات دولتى على إمدادى بحقيبة أنيقة ، تحتوى على كل المواد التى يحتاج إليها إعداد هذا القناع المتقن .

تمتم (چيمس) بذهول :

ــ يا للشيطان !!

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ــ لن يمكن لأحدكم إنكار مدى نجاح تلك الخطة البسيطة ، فلقد مكنتنى من تنحية (الموساد) عن العملية بأكملها ، وإرسال رجال (المافيا) بأكملهم إلى هدف وهمى فى (باتون روج) ، على بعد آلاف الأميال من هنا ، بل لقد أفادنى أحدهم فى إحضار عزيزتنا (سونيا جراهام) إلى هنا ..لم يعد أمامى سوى (چيمس براند) وشبكته :

صاحت (سونيا) بحنق وهى تطيح بسيفها نحوه :

ــ عليك أن تنجو من سيفى أولاً أيها الشيطان .

قفز (أدهم) بمهارة مذهلة ، فتفادى نصل سيفها الحاد ، وقفز مرة أخرى نحو المقعد الضخم ، وانتزع السيف الآخر المعلق على الحائط ، وهو يقول بسخرية لاذعة :

ــ إنك تسرفين فى غرورك يا فتاة (الموساد) .. هل نسيت أن العرب هم أول الفرسان .

وداخل غرفة مكتب (چيمس براند) الفاخرة ، دارت أغرب منازلة بين عضوين من أعضاء جهازى مخابرات متصارعين فى القرن العشرين ... منازلة بالسيوف على غرار ما كان يحدث فى الأزمان الغابرة ، وارتفع صليل السيوف ، وهى تلتقى وتتباعد فى ضربات ومناورات غاية فى البراعة ، وصاحت (سونيا) وهى تدور بنصل سيفها دورتين فى الهواء :

ــ لن تنجح أيها الشيطان المصرى .. إننى بطلة دولتى فى لعبة الشيش .

ضحك (أدهم) بسخرية وهو يتلقى ضربتها على حافة سيفه ببساطة ، وقال :

ــ يا للروعة !! إنها إذن فرصة نادرة لاختبار ترتيبى فى دولتك .

صاحت بحنق وهى تضرب بسيفها ببراعة :

ــ سيكون ترتيبك الأول فى عداد الأموات هذه الليلة .

قال ببساطة وسخرية :

ــ للأسف .. لقد سبقنى (أنطونيو) المسكين .

نفض (چيمس براند) دهشته بسرعة ، وكشف منذ الوهلة الأولى أن هذه هى فرصته لكسب الموقف بأكمله ، فأسرع نحو باب الغرفة ، وفتحه على مصراعيه ، وصاح بقوة :

ــ إلىّ يا رجال .. النجدة .

اندفع رجال (چيمس) من كل صوب بمدافعهم الرشاشة نحو غرفة مكتب زعيمهم ، فمطّ (أدهم) شفتيه ، وقال بلا مبالاة :

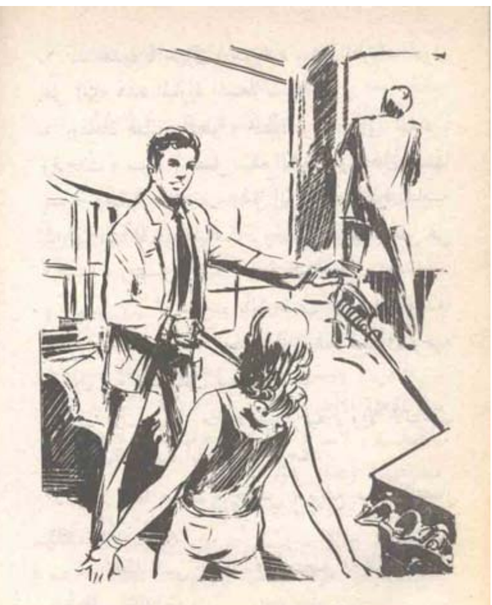
ــ معذرة يا عزيزتى (سونيا) .. إن الظروف تجبرنى على إنهاء هذه المبارزة الممتعة بسرعة .

وفجأة قفز (أدهم) خطوة واحدة إلى الأمام ، وفوجئت (سونيا) بنصل سيفه الرفيع يدور حول نصلها بسرعة ومهارة مذهلتين ، وقبل أن تتخذ الخطوة المناسبة لمواجهة هذا الهجوم المباغت ، وجدت سيفها يتخلّى عن قبضتها ، ويطير جانبًا لينغرز نصله فى مكتب (چيمس) ، ثم شعرت بألم خفيف فى عنقها عندما وضع (أدهم) ذبابة سيفه فوقه ، فحدّقت فى وجهه بذهول ، وسمعته يقول بسخرية :

ــ للأسف إنها مبارزة غير رسمية ، وإلاّ لانتزعت منك بطولة اللعبة أيتها النمرة المتوحشة .

وهنا سمعا صوت (چيمس) يرتفع برنة الانتصار وهو يقول :

ــ أعتقد أننى أنا الذى أستحق الجائزة الأولى ، يا أبطال المخابرات .



ثم شعرت بألم خفيف فى عنقها عندما وضع (أدهم) ذبابة سيفه فوقه ، فحدقت فى وجهه بذهول ..

التفت إليه كلاهما ، فطالعهما وهو يقف مبتسمًا على باب مكتبه ، وقد تألقت عيناه ببريق النصر ، وحوله أكثر من عشرين رجلاً يصوبون فوهات مدافعهم الرشاشة نحو (أدهم) و (سونيا) .

* * *

ضحك (أدهم) بسخرية ، ونظر فى عينى (سونيا) مباشرة ، وقال :

ــ ما رأيك يا عزيزتى (سونيا) ؟ ها قد نجح (جيمس) .

قال (جيمس) بصوت يفيض بالسعادة :

ــ أنصحك بعدم المقاومة أيها الشيطان المصرى ، فلن يمكنك مهما بلغت مهارتك ، تفادى رصاصات خمسة وعشرين مدفعًا رشاشًا .

ألقى (أدهم) سيفه بعيدًا ، وهزّ كتفيه ببساطة وهو يقول بهدوء :

ــ إننى لم أفكر لحظة واحدة فى المقاومة يا ملك الأوغاد ..

صاحت (سونيا) بحدة :

ــ اقتله فى الحال يا مستر (جيمس) .. لا تكرر الخطأ السابق .. اقتله فى الحال .

تألقت عينا (جيمس) وهو يقول :

ــ دعينى أتمتع بانتصارى وقتًا أطول يا عزيزتى الفاتنة .. إنه لن يذهب بعيدًا .. ثم إنها المرة الثانية التى أهزمه فيها .

صاحت بعصبية وغضب :

ــ اقتله يا مستر (جيمس) .. اقتله بلا تفاخر أو استعراض .

استند (أدهم) إلى مكتب (جيمس) ، وعقد ساعديه أمام صدره وهو يقول ببرود :

ــ عجبًا لعقولكم !! هل تظنون أننى قد حضرت إلى هنا دون أن أؤمن خروجى من هذا المكان الكريه ؟

ضحكت (سونيا) بعصبية وهى تقول لـ (جيمس) :

ــ هل رأيت يا مستر (جيمس) ؟.. إنه يبدأ

مناورة جديدة .. اقتله بحق الشيطان .

استدار إليها (أدهم) ، وسألها بسخرية :

ــ لم هذه العجلة أيتها النمرة المفترسة ؟.. ألم يخطر ببالك أن تسألى أين زميلتى فى هذه اللحظة ؟

وكأنما كان هذا السؤال موجهًا إلى (جيمس) ، فقد قطّب حاجبيه ، وقال :

ــ هذا صحيح .. أين هى يا مستر (أدهم) ؟

تألقت عينا (أدهم) وهو يقول ببطء وسخرية ، دون أن يرفع عينيه عن عينى (جيمس) :

ــ إنها تجلس فى مكان مجهول مع فتاة فى العشرين من عمرها ، لها عينان زرقاوان فى لون السماء ، وفم صغير رقيق .. فتاة تدعى (چاكلين) .. (چاكلين براند) .

امتقع وجه (جيمس) ، وارتعش فكه ، واحمرت عيناه ، وهو يقول بصوت غاية فى الخفوت :

ــ أنت كاذب .

ضحك (أدهم) بسخرية ، وأشار إلى الهاتف قائلا :

ـ لو أن هذا الهاتف يمكنه الاتصال بجامعة (ميتشجان) ، فستعلم أن ابنتك لم تتلق علومها منذ ثلاثة أيام هناك .

شعر (چيمس براند) فجأة بأن له قلبًا ينبض بين ضلوعه ، عندما خفق هذا القلب بمرارة وجزع ، وكشف فجأة أن الدم الذى يجرى فى عروقه يحمل بعضًا من المشاعر الطيبة ، فقد أبطأ سيره فى العروق التى انقبضت ، وتردد فى صدره شعور كاد ينساه وسط المشاعر العدوانية الشرسة التى تملؤه .. شعور الحب والأبوة ..

كان هذا الشعور وحده كفيل بأن يحوّل هذا الوحش الكاسر إلى إنسان ، فقد تهدل كتفاه ، وازدادت تجاعيد وجهه ، كأنما كبر فجأة عدة سنوات ، وتحوّلت نظرات الشماتة والنصر فى عينيه إلى نظرات تحمل الضراعة والتوسّل ..

صاحت (سونيا) محاولة قتل هذا الشعور فى قلب (چيمس براند) :

ـ لا تلتفت لما يقول يا مستر (چيمس) ، إن أفراد المخابرات المصرية حمقى ، يضعون أهمية بالغة للمشاعر البشرية السخيفة ، كالشهامة والفروسية .. إنهم لن يبادروا بقتل ابنتك مهما فعلت برجلهم .

قال (أدهم) ببرود وصرامة :

ـ ليس عندما يتعلق الأمر بأمن مصر وشرفها أيتها الحمقاء .

صاحت (سونيا) :

ـ لا تستمع إليه يا مستر (چيمس) ، إنه ....

قاطعها (چيمس) صائحًا بحدة :

ـ اصمتى أيتها القذرة .. لقد حدث كل ما حدث بسببكم .

ثم التفت إلى (أدهم) بنظرات كلها ضراعة ، وقال بصوت ينم عن انهزامه وانكساره :

ـ ماذا تريد يا مستر (أدهم) ؟

أشار (أدهم) إلى رجال (چيمس) ، وقال بهدوء :

ـ أريد أولاً أن نجلس وحدنا لنتفاوض يا مستر (چيمس) ، وثانيًا ألا تسمح بالإفراج عن (سونيا جراهام) ، أو اتصالها بأى كائن من كان قبل مساء بعد غد .

ثم عاد يعقد ذراعيه أمام صدره ، ويتابع بهدوء :

ـ عند ذلك فقط يمكننا أن نتفاوض فى مصير ابنتك يا مستر (چيمس) .

* * *

١٠ ـ الهزيمة الساحقة ..

حاول (چيمس براند) أكثر من مرة إشعال سيجاره ، إلا أن أصابعه المرتجفة حالت دون ذلك ، فألقى القدّاحة بعيدًا ، ورفع عينيه إلى (أدهم) ، الذى جلس بهدوء فوق مقعد فى منتصف الغرفة الخالية إلا منهما .. وبعد فترة من الصمت قال (چيمس) بصوت محطّم :

ـ كيف علمتم أن لى ابنة ؟

أشار (أدهم) إلى المكتب ، وقال :

ـ لقد عثرت على شهادة ميلادها فى درج مكتبك قبل أن تفاجئنى فى المرة السابقة يا مستر (چيمس)[1] .

عض (چيمس) شفتيه بمرارة ، وقال :

(١) راجع قصة (قاهر العمالقة) .. المغامرة رقم (١٨) .

ـــ وماذا تريد منّي مخابرات دولتك يا مستـــر (أدهم) ؟

قال (أدهم) ببساطة :

ـــ اعتراف صريح موقّع منك ، بارتكابك أعمال جاسوسية منافية للقانون الأمريكي والدولي ، وقائمة بأسماء رجالك وعملائك في جميع أنحاء العالم .

ظل (چيمس) يتطلع إليه فترة بنظرات شاردة ، ثم قال بصوت باكٍ :

ـــ هل تعلم ماذا يعني ذلك يا مستر (أدهم) ؟

قال (أدهم) بقسوة :

ـــ نعم يا مستر (چيمس) .. إنه يعني تحطيم شبكتك بأكملها ، وهذا هو ما تسعى إليه مخابراتنا .. لقد لبثت أمامكم هنا في (لاريدو) حتى ألهيكم عن رجالنا ، وهم يأخذون ابنتك إلى مكان لن يمكنك التوصّل إليه مطلقًا .

هزّ (چيمس) رأسه بضعف وهو يقول :

ـــ لن يمكنني أن أفعل ذلك يا مستر (أدهم) .. إنكم تطلبون مني ما لا أستطيعه .

ثم نهض ، وأخذ يسير بوهن ، وهو يتابع بانكسار :

ـــ هل تظن أنه من السهل تحطيم شبكة جاسوسية قوية كهذه التي أنشأتها أنا .. مستحيل !! حتى إذا استسلمت أنا فلن يستسلم رجالي .. لو أنهم سمعوا ما يدور بيننا فسيفضلون قتلي على أن أوقع هذه الأوراق التي تطلبها .

استرخى (أدهم) في مقعده ، وقال ببرود قاس :

ـــ هل تفضل التضحية بحياة ابنتك إذن ؟

نظر إليه (چيمس) طويلاً ، ثم قال :

ـــ ربما كان هناك حل بديل يا مستر (أدهم) .. من الواضح أنك لست ضابط مخابرات عاديًا .. إنك رجل من نوع خاص .. رجل لا يمكن أن تضحي به دولته ببساطة .. ربما لو أنني بادلتك بابنتي ...

قاطعه (أدهم) بهدوء وسخرية قائلاً :

ـــ حاول يا مستـــر (چيمس) .. لا ضـــير من المحاولة .

ثم اعتدل في مقعده ، وأردف بهدوء :

ـــ هناك أشياء كثيرة لا تعلمها في عمل المخابرات يا مستـــر (چيمس) .. منها مثلاً ما يسمى بالشراك الخداعية .. تمامًا مثلما حدث عندما ظننت أنك قد توصّلت إلى معرفة مكان الملفـــات التـــي تحوي أسماء عملائنا ، وعناوين مكاتبنا في العالم ، بل ورقم فتح الخزانة السرية كذلك .. إنك لم تتصور لحظة واحدة أن كل ذلك مجرد شرك .. لقد أوصلنا إليك هذه المعلومات لنعلم كيف ستحاول استغلالها .

وعاد يستند إلى المقعد ، ويستطرد :

ـــ وهناك أيضًا مبدأ يقول : إن الأرواح والنفوس وكل شيء يهون في سبيل مصلحة الوطن .. هذا ما يؤمن به كل رجل مخابرات مصرى يا مستر (چيمس) ، ولا تتصور لحظة أنهم سيضحون بكل شيء من أجل

رجل واحد ، مهما بلغت أهميته وقدراته .

تهاوى (چيمس) على مقعده ، ودفن وجهه بين كفيه فترة طويلة ، ثم رفع إلى (أدهم) وجهًا مبلّلاً بالدموع وهو يقول :

ـــ وكيف يمكنني أن أضمن حياة ابنتي بعد توقيعي على هذه الأوراق يا مستر (أدهم) ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال بهدوء :

ـــ لا ضمانات يا مستر (چيمس) .. إننا لسنا قتلة ولا سفاحين .. ماذا نريد من ابنتك بعد أن نحصل على ما نبتغي ؟

صمت (چيمس) لحظة مفكرًا ، ثم هز رأسه ، وقال بتخاذل واستسلام :

ـــ لقـد انـــتصرتم أيها المصريـــون .. سأوقّـــع كل ما تريدون .

* * *

تطلّع (چيمس) من خلف زجاج مكتبه إلى سيارة

(أدهم) ، وهو يبتعد بأمان بعد أن حصل على ما يريد ، وما أن اختفت أضواء السيارة فى الأفق حتى تهاوى (چيمس) على مقعده ، ودفن وجهه بين كفّيه ، وأخذ يفكّر فى قرارة نفسه ..

كان يعلم أنه قد وقّع وثيقة موته ، فمن المستحيل أن يسمح له رجاله بالحياة ، بعد أن سلّمهم جميعًا إلى السلطات .

أخذ يحاول تذكر الأيام الأولى التى بدأ فيها فى تنظيم شبكته وإعدادها ..

تذكّر المهامّ الناجحة التى أغنته ، وملأت خزائنه بمليارات الدولارات ، ولعن ذلك اليوم الذى قتل فيه ضابط المخابرات المصرى (عصام) ، والذى تحدّى فيه المخابرات المصرية ، التى أذلّته وهزمته وحطّمته ..

ودّ أن يصيح ، طالبًا من جميع من يعملون بالجاسوسية أن يتحاشوا تلك المخابرات القوية ، وقفز إلى ذهنه صوت (أدهم صبرى) ، وصورته ، وشعر بقلبه

يهبط بين قدميه ، عندما طاف بذهنه طيف الأوراق التى وقعها ، وسلّمها إليه ..

وبعد لحظة من التردّد فتح درج مكتبه ، وتناول من داخله مسدسًا ضخمًا أخذ يتأمله لحظات ، وانسالت من عينيه الدموع .. دموع الهزيمة والمرارة والقهر .. وظهر التردد على ملامحه لحظة ، ثم حسم أمره ، ورفع المسدس إلى رأسه ، وضغط الزناد .

ومن جميع أرجاء القصر الضخم الفاخر الذى يضىء ليل مدينة (لاريدو) ، هرع كل رجال (چيمس براند) إلى غرفة مكتبه ، ولكن .. بعد فوات الأوان .

* * *



١١ ـــ الختام ..

سقط (دون ريكاردو) من فرط ذهوله فوق المقعد الخشبى الصغير ، وتألقت عيناه بدموع ، بذل جهدًا خارقًا يمنعها من السقوط فوق خدّيه ، وهو يقول بصوت أجش ، محدثًا ربيبه (جروشو) :

ـــ هزمكم ؟!.. هزم (المافيا) و (الموساد) وشبكة (چيمس براند) ؟

كان وجه (جروشو) شاحبًا وهو يومئ برأسه إيجابًا ، ويقول :

ـــ لقد فعل .. إن أخبار سقوط شبكة (چيمس براند) تحتل مكانًا بارزًا فى كل صحف العالم ، بعد أن انتحر هذا الأخير ، ومستر (ليڤى) يعانى انهيارًا عصبيًا شديدًا .. حتى (سونيا جراهام) طلبوا عودتها إلى دولتها على وجه السرعة .

لم يتمكن (دون ريكاردو) من المقاومة فترة أطول ، فسقطت دموعه على خدّيه وهو يقول بوهن :

ــ رجل واحد !!.. رجل واحد ينجح فى هزيمة ثلاث قوى ضخمة .. هذا مستحيل !! مستحيل !!

قال (جروشو) بحنق :

إنه شيطان !! شيطان مريد يا (دون) !! لقد تنكَّر فى شخصيَّتى ببراعة مذهلة .. حتى صوتى نجح فى تقليده .. إنه يمتلك حنجرة مرنة بشكل مدهش .. حتى الخطة التى اتخذها غاية فى البراعة .. لقد استغل كل طرف لتحطيم الآخر .

صاح (دون ريكاردو) وهو يشيح بذراعه ، ويبعد وجهه :

ــ كفى يا (جروشو) .. كفى .. إننى أعلم عنه أكثر مما تعلم .

ثم نهض من مقعده ، واستدار مواجهًا الحائط ، وهو يتابع قائلاً بصوت يغص بالمرارة :

ــ ويبدو أن مهاراته وقدراته تزداد مع الأيام .. أو أنه ..

وفجأة أمســك (دون ريكـاردو) ذراعه اليسرى بقوة ، وترنّح فى وقفته ، فقفز (جروشو) محاولاً الإمساك به ، ولكنه سقط على وجهه ، وأخذ يتنفس بصعوبة ، وقد تحوّل وجهه إلى اللون الأزرق ، وجحظت عيناه بشدة .

قفز (جروشو) ، وفتح باب غرفة المقابلة ، وصاح ينادى حارس السجن :

ــ لقد أصيب (دون) بأزمة قلبية .. أسرع أيها الحارس ، لابدَّ من نقله إلى مستشفى .. أسرع بحقّ الشيطان .

أسرع الحارس إلى الغرفة ، وانحنى يلصق أذنه بصدر (دون ريكاردو) ، ثم نهض بارتباك ، وقال بتردد :

ــ لم تعد هناك فائدة .. لقد .. لقد قضى نحبه .

اتسعت عينا (جروشو) ، وظل صامتًا جامدًا



وفجأة أمسك (دون ريكاردو) ذراعه اليسرى بقوة، وترنّح فى وقفته ، فقفز (جروشو) محاولاً الإمساك به ..

لحظة ، ثم انسالت من عينيه قطرتان من الدمع الساخن ، وهو يتطلّع بجمود إلى زعيمه ، الذى تحوّل إلى جثة هامدة ، ثم أشار إلى الحارس أن يخرج ، وقال بلهجة آمرة :

ــ اتركنا وحدنا أيها الحارس .

أسرع الحارس يغادر الغرفة الصغيرة ، على حين انحنى (جروشو) بهدوء ، وأغلق عينى زعيمه باحترام ، ثم نهض وجفّف دموعه بكفّه ، وقال :

ــ لقد قتلك ذلك الشيطان المصرى يا (دون) .. قتلتك أعماله .

وتحوّلت لهجته فجأة إلى صياح شرس وهو يهتف :

ــ ولكنه لن ينجو من براثنى .. سأقتله يا (دون) .. سأنتقم لك ولو بذلت عمرى فى سبيل ذلك .

* * *

على بعد عشرات الآلاف من الأميال من الأراضى

الأمريكية ، استرخى (أدهم صبرى) بشكل متكاسل ، فوق مقعد صغير فى شرفة منزل زميلته (منى توفيق) ، وتناول من يد والدتها فنجانًا من الشاى الساخن ، وقال :

— كم أتوق إلى هذا الشاى المصرى فى أثناء تجوالنا فى الخارج يا والدتى العزيزة ؟

ابتسمت والدة (منى) بطيبة وسعادة وهى تقول :

— يمكننى أن أعد لكما كميّة فى كل مرة تسافرون فيها يا ولدى .

ضحك وهو يغمز لـ (منى) بعينيه قائلاً :

— للأسف .. أعتقد أن حمله سيعوقنا عن أداء بعض الأعمال التى تقابلنا هناك .

ابتسمت (منى) ، وقالت :

— نعم أعتقد ذلك .

وما أن انصرفت والدتها ، حتى مالت على أذن (أدهم) ، وهمست ضاحكة :

— آه لو تعلم والدتى ما نفعله خارج البلاد ، ما سمحت لى بالسفر مطلقًا !

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— ربما يكون من حسن حظك لو أنها فعلت ذلك .

اعتدلت وهزّت كتفيها وهى تقول :

— بالعكس ، إننى أشعر بمتعة شديدة فى كل لحظة نقضيها معًا فى إحدى هذه المغامرات .

ضحك (أدهم) ، وقال :

— عجبًا ، إننى لا أشعر بمثل هذه المتعة .

ابتسمت (منى) بخبث ، وهمّت بالتعليق على عبارته ، ولكنّها تذكرت فجأة أمرًا آخر ، فعادت تسأله :

— لقد ذكرتنى بأمر أحب أن أسألك عنه .

أبعد (أدهم) الفنجان عن فمه ، وابتسم وهو يتطلّع إليها فقالت :

— كيف أمكنك أن تتنبأ بالرصاصة التى اخترقت

نافذة الفندق ؟.. لقد رأيتك تقفز إلى الخلف قبل أن تخترق الرصاصة النافذة .

ابتسم (أدهم) بهدوء ، وقال :

— ليس فى الأمر شىء من التنبؤ .. لقد لمحت ضوء الطلقة من الجانب الآخر ، بسبب الظلام الذى كان يخيّم على المنطقة وقتئذ .

نظرت إليه بخبث ، وقالت :

— وأمكنك القفز قبل أن تصل الرصاصة إلى النافذة .. عجبًا .

هزّ كتفيه بلا مبالاة ، وعاد يرتشف الشاى الساخن ، فابتسمت هى وقالت بإعجاب :

— لن تنجح فى إثارة دهشتى ، فلقد اعتدت منذ فترة طويلة أن أعمل مع الرجل الذى يلقبونه بـ (رجل المستحيل) .

* * *

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع : ٣٦١٩